من ظواهر العدول فى شعر حاتم الطائي

د . عبد النعيم عبد السلام خليل

جامعة جنوب الوادى – آداب أسوان

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

أما بعـــد ،،،

فإن للشعر لغته الخاصة التى تختلف أحياناً عن لغة النثر – إن صح التعبيران – هذه اللغة تمتاز بالوزن والقافية ، وأى اختلاف فى نظـام هـذه اللغة يحول لغة الشعر من لغة تحكمها أسس وقواعد – الوزن والقافية – إلى كلام نثرى لا تحكمه كثير من قواعد الشعر .

ولغة الشعر دائما محط أنظار النحاة ، فضلا عن النقـاد ، فالنحـاة معترفون بأن للشعر خصوصيته ولغته التى تختلف قليلا أو كثيرًا عن لغـة النثر ، ومع ذلك فالنحاة أيضًا لهم قواعدهم التى استنبطوها مـن اسـتقرائهم لكلام العرب .

إذن نحن أمام قواعد تحكم الفريقين (الشعراء والنحـاة) ، الـشعراء يتحررون– مضطرين أو غير مضطرين – من هـذه القواعـد . والنحـاة يسارعون فى الخطى لدأب الصدع الذى يحدث نتيجة خرق الـشعراء لتلـك القواعد ، النحاة يهدفون دائمًا إلى طرد القاعدة النحوية ، والشعراء – بـدافع أو بغير دافع – يوسعون دائرة الخلاف .

ولم يجد النحاة بدًا من الاعتراف بلغة الشعر ، أو بضرورة الشعر ، وهذا يعنى أن الشاعر يباح له ما لا يباح لغيره . وقد اضطر النحاة إلى ذلك أملا منهم فى وضع أصول صارمة للقواعد النحوية ، ومن يخالف هذه الأصول يعد مخطئا إما إن كان من الشعراء فالأمر يختلف ، فالشعراء تلتمس لهم دائمًا الأعذار تحت غطاء الضرورة الشعرية .

وهذا ليس هجومًا على الشعراء ، كما أنه ليس نقدًا للنحاة ، بل مجرد تقرير للواقع الذى حدث بين النحاة والشعراء .

وهذه النظرة من جانب النحاة إلى لغة الشعر جرت عليهم كثيرًا من الأخطاء ، فهم ينشدون دائما قواعد كلية صارمة مطرده ، ومن يخالفها من الشعراء يصبح مضطرًا ، أما إذا خولفت هذه القاعدة نثرًا ، فهنا تختلف النظرة إلى نوع المخالفة ، فهى لغة ضعيفة ، أو لا يجوز هذا فى القياس ، أو هذا شاذ لا يقاس عليه، ولم يقف النحاة عند هذا الحد ، بل غلطوا كثيرًا من القراءات الشاذة ، وقليلا من القراءات المتواترة وليس هذا فحسب ، بل انسحب مصطلح الضرورة الشعرية إلى القراءات القرآنية وإلى الأحاديث الشريفة .

وخذ مثالا على ذلك ، الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، أجازه النحاة بما ليس بأجنبى ، وما عدا ذلك يعد ضرورة ، على الرغم من وروده فى القرآن الكريم وفى الحديث الشريف ، بل إن ابن عصفور بعد أن ذكر الفصل بما ليس بأجنبى قال : وأقبح منه ما يكون بالجمل نحو قوله تعالى : ﴿ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُم ﴾ (المائدة : ٦) حيث فصل بين الأرجل والوجوه بالجملة ... وعد ذلك ضرورة .

وهنا يظهر اتجاه آخر وهو اتجاه ابن مالك الذى فتش كثيرًا فى الأحاديث الشريفة ، وكل ما ورد مثله فى الحديث نفى عنه صفة الضرورة ولسنا الآن بصدد نقد النحاة ، بل إن حديثنا مجرد تقرير لما فعله النحاة فكثير من القواعد التى أباحها النحاة فقط للشعراء ، كأن يقولوا ، وهذا لا يجوز فى غير الشعر ، أو لا يجوز كذا إلا فى ضرورة ، كثير من هذه القواعد وردت فى القراءات القرآنية وفى الحديث الشريف ، وفى كلام العرب النثرى ومع ذلك فالنحاة مصممون على أن ذلك لا يجوز إلا فى الشعر .

وبالأمثلة يتضح ما نقول .

وقف ابن كثير بالياء على قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ (هود : ١٠٥) والتمس النحاة لتوجيه تلك القراءة قول الشاعر : لا بارك الله فى الغوانى هل ... وقول الآخر : غير ماضيِ[١] ، على الرغم من أنهم ذكروا أن اثبات الحركة مع حرف العلة ضرورة ، وإثبات حرف العلة مع وجود الجازم ضرورة عند النحاة ، وقد وردت فى قراءة حمزة : ﴿ لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (طه : ٧٧) بإثبات الياء ، وفى قراءة ابن كثير "إنه من يتقى ويصبر"[٢] .

ومن أمثلة ذلك أيضًا إسكان الياء فى موضع النصب ، ذكر النحاة أن ذلك ضرورة ، وقد وردت فى كلام العرب "لا أكلمك حيرى دهر ، احتملوا آيادى سبا ، رأيت معدى كرب ، ورأيت قالى قلا ... كما وردت فى القراءات الشاذة ومنها قراءة : طلحة بن سليمان ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (القيامة : ٥٠ باسكان الياء ...)

---

(١) انظر مثلا الحجة ٣٧٧/٤ .

(٢) السابق ٢٤٠/٥ .

ومن هنا ظهرت نظرية العدول ، وقبل أن نتكلم عن (العدول) نشير إشارة بسيطة إلى مفهوم الضرورة عند النحاة ، فللنحاة فى الضرورة الشعرية ثلاثة آراء، رأى سيبوية وابن مالك أن الضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحة ، رأى الجمهور أن الضرورة ما وقع فى الشعر سواء كان للشاعر عنه فسحة أم لا ٠ رأى الأخفش حيث أباح للشعراء فى كلامهم العادى ما لا يجوز عند غيرهم[١] ٠

وهناك نقطة لم يتطرق إليها النحاة ، وهى القواعد النحوية التى حكموا عليها بأنها لا تجوز إلا فى الشعر ، وقد وردت فى القرآن الكريم أو فى القراءات القرآنية أو فى الأحاديث الشريفة أو فى كلام العرب ، ومن هنا أرى أن مثل ذلك لا يعد ضرورة ، بل يندرج ضمن الأساليب العدولية ، وقبل الحديث عن المعنى الاصطلاحى للعدول ، نذكر أولا المعنى اللغوى لكلمة (عدل) ، ففى المعاجم اللغوية نجد : عدل عدلا وعدولا : مال ، ويقال : عدل عن الطريق : حاد ، وعاد إليه رجع ، وعدل فى أمره عدلا وعدالة ومعدلة : استقهام ، وعدل فى حكمه : حكم بالعدل ، وعَدَلَه إلى طريقة : عطفه ، وعدل الشيء عَدْلا : أقامه وسواه ٠ وعدل الشيء بالشيء : سواه به وجعله مثله قائما مقامه[٢] ، وقد وردت هذه المادة فى القرآن الكريم بعدة معان ، منها هذا المعنى الأخير ، فى قوله تعالى : ﴿ أو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ (المائدة : ٩٠) ٠

ونترك المعاجم اللغوية وننتقل إلى كتب اللغة فنجد ابن سيده يعقد بابًا فى المخصص بعنوان: هذا باب ما جاء معدولا عن حده من المؤنث كما جاء

---

(١) راجع مثلا لغة الشعر ٩٠ ٠

(٢) انظر مثلا اللسان (عدل) ٠

المذكر معدولا عن حده وابن سيده – كغيره من اللغويين – يعنى بالعدل المصطلح النحوى الشائع فى كثير من الأبواب النحوية ، ففى باب الممنوع من الصرف نجد (العدل) كعلة لفظية من علل المنع من الصرف ، والنحاة يقسمون العدل إلى ، عدل بتغيير الشكل فقط مثل جُمَع المعدول عن جميع ، وعدل بالنقص كسحر وأخر المعدولان عن السحر والآخر وعدل بالنقص وتغيير الشكل كعمر المعدول عن عامر ، وعدل بالزيادة والنقص وتغيير الشكل مثل الأعلام التى على وزن فعال ..

العدل عند النحويين :

ورد مصطلح العدل فى كتب النحو منذ أيام سيبويه إلى أيامنا هذه ، فقد جرى هذا المصطلح على لسان سيبويه فى كتابه ، وذلك عند حديثه عن (أمس وسحر) حيث سأل الخليل عن (أمس) إذا صارت اسمًا لرجل ، فأجاب الخليل بأنه مصروف لأنه لما فارق الموضع الذى وضع له فقالوا : ذهب أمسُ بما فيه ، لم يصرفوه ، قال : فلما عدلوه عن أصله فى الكلام ومجراه تركوا صرفه كما تركوا صرف (أخر) حين فارقت أخواتها فى حذف الألف واللام منها ، وكما تركوا صرف (سحر) ظرفًا ؛ لأنه إذا كان مجرورًا أو مرفوعًا أو منصوبًا غير ظرف لم يكن معرفة إلا وفيه الألف واللام أو يكون نكرة إذا أخرجتا منه ، فلما صار معرفة فى الظروف بغير ألف ولام خالف التعريف فى هذه المواضع ، وصار معدولا عندهم كما عدلت (آخر)[1] .

إذن العدل والعدول بمعناها العام كما وردا فى الكتاب يراد بهما ترك شيء والعدول عنه إلى شئ آخر ، أو تحويل الاسم من حالة لفظية إلى

---

(١) الكتاب ٣/٢٨٠ وما عدها .

أخرى مع بقاء المعنى الأصلى ، وقد ذكر الدكتور خليل عبد العال أن بعض النحاة توسع فى معنى العدول ، فجعل منه العدل من معنى إلى معنى ومن صيغة إلى أخرى ، ومن زمن إلى زمن ومن جملة إلى جملة ومن فعل إلى اسم ومن اسم إلى فعل ومن حرف إلى حرف[1] ...

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن النحاة وضعوا أصولا ذهنية ورأوا أن استعمال اللغة قد يورد الأصول على حالها فيتفق المستعمل فى صورته مع المجرد فيسمى ذلك (استصحاب الأصل) ، وقد يعدل عن هذا الأصل فيسمى عدولا ، ومن هنا لابد من أن نفرق بين بعض المصطلحات المتداخلة فى هذا المجال وهى العدول – الترخص – عوارض التركيب ، فالرخصة من حيث المبدأ عدول عن أصل أو قاعدة ارتبطا ببعض القيود مثل أن تكون الكلمة مرهونة بمحلها فلا يقاس عليها ٠ أن تكون من الفصيح لا ممن جاء بعد عصر الفصاحة ، أن يؤمن معها اللبس ٠

أما الأسلوب العدولى فخروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا فى الاستعمال الأسلوبى قدرًا من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التى يقاس عليها[2] ٠

إذن العدول خروج عن الأصل المألوف الذى وضعه النحاة ، إلا أن هذا الخروج أصبح فى بعض الأحيان هو المألوف المستعمل ، فالنحاة يذكرون مثلا أن (بيع وقول وأمثالهما) هو الأصل ، وقد عُدِل بهما إلى باع وقول ، ومع الاستمرار فى هذا العدول ، صار العدول هو المألوف

---

(١) انظر مثلا الأسلوب العدولى فى الفاصلة القرآنية للدكتور خليل عبد العال ص١٦ ٠

(٢) البيان فى روائع القرآن ٢/٧٧ ٠

المستعمل ، وصار العدول عن هذا العدول إلى الأصل الذى قـرره النحـاة شاذًا .

أما عن عوارض التركيب ، وهو مـصطلح ذو وصـلة بكلامنـا ، فالتركيب هو الذى ينعقد به الكلام ويحصل به الفائدة . وذلك لا يحـصل إلا من اسمين أوفعل واسم ، ويسمى الجملة[1] . أى أن نظام الجملة فى اللغـة العربية يسير وفق نظام محدد وقواعد ثابتة ، إلا أن المجال العملى للغـة ، وأقصد به الكلام أو الكتابة ، قد يعرض له من العوارض مـا يغيـر هـذا النموذج الذى رسمه النحاة وهذا ما يطلق عليه (عوارض التركيـب) فلكـل تركيب عوارض تعرض له لتغير صورته ، وقد عقد سيبويه بابًا فى كتابـه للحديث عن تلك العوارض قال : باب ما يكون فى اللفظ من عوارض[2] أى ما يعرض للتركيب أو للكلام فيجئ على غير ما وضع له .

والسؤال الآن : هل التصرف فى قواعد اللغة باستخدام الترخص أو العدول أو عوارض التركيب يعد مدحًا أو ذما ؟

وبمعنى آخر هل لابد للشاعر أو الناثر أن يلتزم بالقواعد التى حددها النحاة واللغويون ؟

والإجابة على هذا السؤال صعبة إلى حـد مـا ، فالنحـاة أحيانـا يتصورون قواعد ذهنية لم يستخدمها العربى ، ويتصورون أن هذه القواعـد هى الأصل وما جاء مخالفًا لها يعد خروجًا عن هذا الأصل – غير المستعمل – وأكثر ما يكون هذا فى مسائل الإعلال والإبدال ، بل وفى كثير من أبواب

---

(١) انظر مثلا شرح المفصل ١/٢٠ وما بعدها .

(٢) الكتاب ١/٢٤ .

الصرف ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فاللغة تعبير عن انفعال داخلى ، وهذا الانفعال هو الذى يحدد نظام الجملة وترتيبها ، فللحذف دوره وللتقديم والتأخير دوره ... وهذا ما يعطى للأسلوب قوته ، وهذا أيضًا ما يفرق كثيرًا بين لغة الشعر ولغة النثر . فالرخصة أو الترخص لازمة للكلمة التى وردت بها لا تتجاوزها . وهذا ويعنى أن قيمة الترخص الأسلوبية تنشأ من الأسلوب الذى وردت فيه ، ولو استعملت الرخصة فى غير هذا الأسلوب لعُدَّ الكلام خطأ .

أما العدول فشائع فى لغة العرب وفى كلامها[1] . أما عوارض التركيب فقد عقد لها ابن جنى بابًا فى الخصائص سماه باب فى شجاعة العربية ، ذكر منها حذف الجملة وحذف الاسم وحذف الخبر والمبتدأ والمضاف والمضاف إليه ... وحذف الفعل كما تحدث عن التقديم والتأخير ، كتقديم المفعول به ، والمستثنى والمفعول لأجله ... [2]

أما عن أهم الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوعنا ، فهى كثيرة منها ما ذكره أستاذنا الدكتور تمام حسان فى كتابه البيان فى روائع القرآن فى الفصل الثالث بعنوان : الأسلوب العدولى فى القرآن الكريم حيث ذكر كثيرًا من الأساليب العدولية كالحذف والزيادة وحذف الرابط والالتفات .. ومنها الدراسة التى قام بها الدكتور خليل عبد العال بعنوان " الأسلوب العدولى فى الفاصلة القرآنية" . دراسة صرفية نحوية أسلوبية . حيث تحدث فى هذه الدراسة عن الأساليب العدولية فى الفاصلة القرآنية مثل العدول من

---

(١) مجاز القرآن ٢٦٩/٢ .

(٢) الخصائص ٣٦٠/٢ وما بعدها .

التأنيث إلى التذكير والعدول فى جملة الشرط • والعدول إلى تقديم الصفة على الموصوف •••

ومنها أيضًا الدراسة التى قام بها الدكتور أحمد الليثى بعنوان الاتجاه العدولى فى القرآن الكريم ، حيث تحدث عن بعض الأساليب العدولية فى بنية الكلمة ، والأساليب العدولية فى الألفاظ •••

بقى الحديث عن عملنا فى هذا البحث ، حيث قمت باختيار ديوان حاتم الطائى[1] ، بوصفه أحد الشعراء الذين يحتج بكلامهم ، وقد لاحظت ندرة الشواهد النحوية التى يستشهد بها النحاة من شعر حاتم ، بالقياس بشعر غيره كامرئ القيس وزهير وطرفة والنابغة والأعشى وغيرهم •

وقد قمت بجمع كل الظواهر النحوية التى تذكر ضمن ضرائر الشعر أو الأساليب العدولية ، وقد لاحظت أن كثيرًا من ضرائر الشعر التى سلّم النحاة لها بهذا الوصف قد ورد مثلها فى القرآن الكريم والقراءات القرآنية – المتواترة والشاذة ، والحديث الشريف ، وكلام العرب النثرى • ومن هنا أدرجت هذا القسم تحت الأساليب العدولية ولست مبتدعًا فى هذا القول ، فابن جنى رفض إدراج كثير من القواعد ضمن الضرائر لورود أمثالها فى النثر ، وابن مالك أيضًا أخرج من الضرائر كثيرًا من المسائل لورود أمثالها فى الحديث الشريف ، وأبو حيان أيضًا هاجم النحاة لعدهم بعض المسائل مما لا يجوز فى غير الشعر ، وقد ورد مثله فى القرآن الكريم وغيره • وقد قمت بتقسيم ذلك إلى مسائل كالتالى •

---

(١) اعتمدت على النسخة التى حققها د/ عادل سليمان جمال والتى نشرتها مكتبة الخانجى بالقاهرة •

المحتـــوى

أولاً ظواهر البنية :

- وصل ألف القطع
- الترخيم فى غير النداء
- حذف حرف من الكلمة لإقامة الوزن
- إضمار أن
- رفع المضارع بعد أن
- استعمال الفعل الواقع بعد عسى بغير أن
- حذف حرف العطف
- حذف خبر كان لدلالة المعنى عليه
- إجراء المعتل مجرى الصحيح أو إطالة الحركات القصيرة
- حذف الفتحة من الفعل المعتل المنصوب
- إسكان الياء فى موضع النصب
- حذف العائد المجرور
- حذف التاء للقافية
- إسكان المتحرك
- تحريك الساكن
- حذف المتعجب منه
- حذف تاء التأنيث من الفعل المسند إلى فاعل مؤنث
- المشتقات
  - صياغة أفعل من جمح
  - استعمال (خزاه) مصدرًا لـــ (خزى)
  - السهود بمعنى السهد والسهاد

- مسجّر بمعنى مسجور
- الهواجر جمع هاجرة

- القلب المكانى
- ألفاظ استخدامها الطائى بغير معناها المعجمى
  - الجلد بمعنى الجليد
  - الزند بمعنى اللئام
  - اتنكف بمعنى أميل إليه فأضربه
  - مؤنف بمعنى مشتوم
  - الصفاق بمعنى مارق من الخاصرة
  - رخاء بمعنى الأرض الصلبة
  - مضنون بمعنى قليل

ثانيًا : الظواهر السياقية

إقامة غير المفعول به مقام الفاعل .

- العطف على الضمير المجرور من غير إعادة حرف الجر
- الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه
- الفصل بين أفعل والمتعجب منه
- عدم تكرار (لا) إذا دخلت على معرفة
- إلزام (كلا وكلتا) الألف
- دخول (رب) على نكرة مضافة إلى معرفة
- مجئ (مهما) للزمان
- دخول نون التوكيد على المنفى بـــ (ما)

وصل ألف القطع

ورد ذلك فى قول حاتم الطائى :

أبـــوه أبـــى . والأمهـــات امهاتنـــا فأنعم فدتك اليوم قومى ومعشرى[1]

(امهاتنا) وصل الطائى ألف القطع هنا ، وهذه الضرورة ذكرها ابن عصفور ضمن ضرائر النقص أو الحذف ، وقد استشهد ببيت حاتم السابق بالإضافة إلى الشواهد التالية :

يابـــا المغيـــرة رُبَّ أمـــرٍ معـــضلٍ فرجتـــه بـــالمكرِ منّـــى والـــدها

يريد يا أبا المغيرة

يـــا للرجـــالِ لحادثـــانِ الأزمـــانِ ولنـــسوةٍ مـــن آل ابـــى ســـفيان

يريد : أبى سفيان

وقال أبو زبيد :

وأيقـــن اكـــدر إذ صـــاروا ثمانيـــة أن قد تفرد أهـــل البيـــت بـــالثمن

يريد : أكدر ، وأنشد أبو الحسن :

تضب لثـــات الخيـــل فـــى مجراتهـــا وتسمع من تحت العجاج لها ازملا

يريد : لها أزملا وقال آخر :

قالـــــت لـــــشيطانى وشـــــيطاناتى

لاتقربـــــونى وانـــــا فـــــى الـــــصلاة

---

(١) الديوان ١٨٥ .

أى (وأنا) . وقال آخر :

حتـــى يقـــول كـــل مـــن راه إذ راه

يـــا ويحـــه مـــن جمـــل مـــا أشـــقاه

وقد ذكر ابن عصفور أن وصل ألف القطع قد جاء فى الفعل أيضًا ، قال الطرماح :

ألا أيهـــا الليـــل الطويـــل ألا اصـــبح بتم وما الإصـــباح فيـــك بـــأروح

يريد : ألا أصبح . وقال آخر :

ماشـــد أنفـــسهم وأعلمهـــم بمـــا يحمى الذمار به الكـــريم المـــسلم

أى ما أشد ، وأنشد أبو على :

إن لـــم أقاتـــل فالبـــسونى برقعـــا

أى فألبسونى[1] .

هذه هى الشواهد الشعرية التى ورد فيها وصل ألف القطع ، وقد عد الفارسى وابن جنى وابن عصفور وغيرهم ذلك من ضـــرورات الـــشعر ، وأرى أن ذلك ليس من ضرورات الشعر للأسباب التالية :

أولاً : ورود ذلك فى قراءة متواترة ، وفى بعض القراءات الشاذة ، فقد قرأ ابن كثير : ﴿ إِنَّهَا لِحْدَى الْكُبَرِ ﴾ (المدثر : ٣٥)[2] ، قال الفارسى :

---

(١) انظر فى الشواهد السابقة الكتاب ٢٩٤/٢ والأصول ٤٠٥/١ ، وكتاب الشعر ٣٠٢/١ ، والخصائص ١٥١/٣ والمحتسب ١٢٠/١ وأمالى ابـــن الـــشجرى ١٦/٢ وشـــرح المفصل ١١٤/٢ والخزانة ٢٧٦/٣ .

(٢) السبعة ٦٥٩ .

أما حذف الهمزة فليس بقياس ، ووجه ذلك أن الهمزة حذفت حذفًا كما حذفت فى قوله : ويلمها فى هواء الجو طالبة ... ثم ذكر أن حذف الهمزة قد جاء فى غير موضع فى الشعر ثم ذكر بعض الشواهد الشعرية ، ثم عقب بقوله : فهذا مثل قراءة ابن كثير ، ألا ترى أن (لإ) فى قوله (لإحدى) مثل (وإثم التى) فى قول الفرزدق .

فعلى إثم عطية بن الخَيْطفى واثمُ التى زجرتك إن لم تجهد[1]

ولا يجوز أن نسوى بين قراءة متواترة وبعض الشواهد الشعرية فنضع الاثنين تحت باب الضرورة الشعرية ، خاصة أن حذف الهمزة ورد أيضًا فى بعض القراءات الشاذة ، مثل قراءة سالم بن عبد الله : ﴿ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ اثْمَ عَلَيْهِ ﴾ (البقرة : ٢٠٣) ، وقرأ ابن محيصن : ﴿وَآتَيْتُمْ احْدَاهُنَّ ﴾ (النساء : ٢٠). وقد وافق ابن جنى أستاذه الفارسى فى أن حذف الهمزة من ضرورات الشعر ، بل صرح بأن حذف الهمزة حذف صريح واعتباط مريح[2] .

ثانيًا : ورد حذف الهمزة فى كلام العرب النثرى ، فقد حكى أبو زيد : لا اب لك وحكى أبو على الدينورى أن العرب يقولون : مخيرك أى ما أخيرك ، وحكى أيضًا عن المازنى أن العرب يقولون : ما شر اللحم للمريض ، وما خير اللبن تريد : ما أشر وما أخير ، وحكى الكوفيون عن العرب : ما خير اللبن للصحيح وما شره للمبطون[3] .

---

(١) الحجة ٣٤١/٦ .

(٢) المحتسب ١٢٠/١ ، ١٨٤ .

(٣) ضرائر الشعر ٩٩ وما بعدها .

ثالثًا : ورد حذف الهمزة أيضًا فى بعض الأحاديث النبوية الشريفة ، فى قوله ﷺ : "ويلمه مسعر حرب"[١] .

رابعًا : ذكر بعض النحاة أن حذف الهمزة أو وصل ألف القطع من التخفيف وليس من الضرورة ، لأنه كلام كثر استعماله وجرى مجرى المثل[٢] ، وبذلك يمكن أن نعد قول الطائى ٠

أبوهم أبى والأمهات امهاتنا من قبيل الاستعمال العدولى حيث

عدل الطائى عن الأصل وهو إثبات الهمزة ٠ بقى أن نشير إلى أن إثبات الهمزة هنا يكسر الوزن ، إلا أنا لا نعده ضرورة لوروده فى القرآن الكريم ٠ قراءة ابن كثير – وفى القراءات الشاذة ، وفى حديث رسول الله ﷺ ، وفى كلام العرب ٠

الترخيم فى غير النداء

الترخيم حذف أواخر الأسماء الأعلام المفردة ، ولا يكون إلا فى النداء لأنه موضع تغيير ٠ إلا أن يضطر شاعر فيرخم فى غير النداء ، ولا يرخم إلا ما استحق البناء على الضم مما عدد حروفه أكثر من ثلاثة أحرف ...[٣]

إذن أول شرط للترخيم أن يكون فى النداء ٠ يقول الفارسى فى تعريف الترخيم : حذف أواخر الأسماء المفردة المعرفة فى النداء[٤] ، وقال

---

(١) صحيح البخارى ٢٥٧/٣ وانظر لغة الشعر ١٧٣ ٠

(٢) شواهد التوضيح ١٥٧ ٠

(٣) انظر مثلا الإيضاح العضدى ٢٣٧ ٠

(٤) السابق الصفحة نفسها ٠

السيوطى : الترخيم حذف آخر المنادى ... [1] هذا هو الأصل فى الترخيم ، وهذا ما استعمله حاتم الطائى عدا مرة واحدة رخم فيها (ماوية) زوجه ، فقد رخم الطائى (ماوية) فى النداء فى المواضع التالية :

أماوىّ قد طال التجنُّبُ والهجرُ وقد عذرتْنى فى طلابكمُ العُذْر[2]

وقال أيضًا :

أماوىّ إنى ربَّ واحدِ أمِّه أجَرْتُ ، فلا قتلٌ عليه ولا أسْرُ[3]

وقال أيضًا :

أماوىّ إمَّا متُّ فاسعىْ بنطفةٍ من الخمر رَيَّافا تضحنّ بها قَبْرى[4]

وقال أيضًا :

سلى الأقوامَ يا ماوىّ عنى وإن لم تسأليهم فاسألينى[5]

وقد عدل الطائى عن ترخيم (ماوية) فى النداء ، إلى الترخيم فى غير النداء وقد حدث هذا مرة واحدة فى قوله :

سأمنحه على العلات حتى أرى ماوىّ ألا تشتكينى[6]

---

(١) الهمع ٢/٥٧ .

(٢) الديوان ١٩٨ .

(٣) السابق ٢٠١ .

(٤) الديوان ٢٣٧ .

(٥) السابق ٢٧٥ .

(٦) السابق ١٥٢ .

فالطائى هنا (رخم) (ماوية) فى غير النداء ، ولو لم يرخم لا نكسر الوزن . وقد عقد سيبويه بابًا فى كتابه لما رخمت الشعراء فى غير النداء اضطرارًا[1] وهناك خلاف معروف بين سيبويه والمبرد ، والخلاف ليس على الترخيم فى غير النداء للضرورة ، بل الخلاف فى اللغة التى يرد عليها الترخيم ، فسيبويه وغيره من المتقدمين البصريين والكوفيين يجيزون الترخيم على لغة من نوى ، وعلى لغة من لم ينو . أما المبرد فلا يرخم إلا على لغة من لم ينو[2] .

والشواهد على الترخيم فى غير النداء كثيرة منها قول الأسود بن يعفر :

وهذا ردائى عنده يستعيره ... ليسلبنى عزى أمالُ بنُ حنظل

وقال ابن حبناء :

إن ابن حارثَ إن اشتق لرؤيته ... أو أمتدحه فإن الناس قد علموا

وقال زهير :

حذوا حذركم يا آل عكرمَ واذكروا ... أواصرنا والرحْمُ بالغيب تذكر

وقال جرير :

ألا أضحت حبالكم رماما ... وأضحت منك شاسعة أماما

وقال ابن أحمر :

---

(١) انظر الكتاب ٢٦٩/٢ .

(٢) انظر مثلا المقتضب ٢٥٢/٤ وشرح الجمل ١٢٥/١ والهمع ٥٨/٢ .

أبـــو حـــنش يؤرقنـــا وطَلْـــقٌ وعبـــادٌ وآونـــةً أثـــالا[1]

وقد علق الدكتور محمد حماسة على الشواهد السابقة بقوله : ولعل عدم نظرة النحاة للشعر على أن له استعمالا خاصًا للأعلام هو الذى دفعهم للاختلاف حول ترخيمها فى غير النداء ، فجعله سيبويه ضرورة ، ويجيز سيبويه وغيره أيضًا أن يبقى الاسم بعد الحذف على حاله (لغة من ينتظر) ، ولكن المبرد كان ينكر هذا ولا يجيزه فى الشعر . وأرى – أى الدكتور محمد حماسة – أن رأى سيبويه أشبه بما يتطلبه الشعر ولذلك فلا أوافق على معيارية المبرد[2] .

حذف حرف من الكلمة لإقامة الوزن

ومن أنواع الحذف التى وردت عند الطائى حذف حرف من آخر الكلمة لإقامة القافية فى قوله :

وغمرةِ مـوتٍ لـيس فيهـا هـوادةٌ يكون صدورَ المشرفىّ جسورُها[3]

(صدورَ المشرفىّ) ، بفتح الياء من (المشرفى) وقد فسّر أبو زيد ذلك بأنه أراد (المشرفية) فحذف ، ولو أثبت الطائى التاء لانكسر الوزن .

---

(١) انظر فى ذلك الكتاب ٢٦٩/٢ والمقتضب ٢٥٢/٤ وما يحتمل الشعر من الضرورة ٩٣ .

(٢) لغة الشعر ١٩٩ .

(٣) الديوان ٢٣٣ .

إضمار أَنْ

يجوز إضمار (أن) الناصبة ، هذا موضع اتفاق بين النحاة ، لكنهم اختلفوا فى رفع المضارع أو نصبه ، فالكوفيون يرون أن (أنْ) الخفيفة تعمل فى المضارع النصب مع الحذف من غير بدل ، وذهب البصريون إلى أنها لا تعمل مع الحذف من غير بدل[1] . أى أن الكوفيين ينصبون المضارع بعد (أن) المحذوفة . أما البصريون فيرفعون .

وقد وردت (أن) مضمرة فى شعر حاتم الطائى ، وورد الفعل بعدها مرفوعًا ، قال :

فإما تصيبُ النفسُ أكبرَهمها وإما أبشرُكم بأشعثَ غانمِ[2]

قال ابن هشام عن حذف (أن) وهو مطرد فى مواضع معروفة ، وشاذ فى غيرها ، نحو : خذ اللص قبل يأخذَك ، ومره يحفرها ، ولابدّ من تتبعها ، وإذا رفع المضارع بعد إضمار (أن) سَهُل الأمر ومع ذلك لا ينقاس عليه ، ومنه : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ ﴾ (الزمر : ٦٤) ، وقوله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ ﴾ (الروم : ٢٤)[3] .

---

(١) الإنصاف ٤٤٨ وانظر مثلا المقتضب ٨٥/٢ وشرح الجمل ١٣٢/١ .

(٢) الديوان ٢١٠ .

(٣) المغنى ٦٠٥ .

رفع المضارع بعد (أن)

(أن) من نواصب الفعل المضارع كما هو معروف ، هذا هو الأصل ، وقد جاء الفعل مرفوعًا بعدها مرة فى شعر حاتم الطائى فى قوله :

لقد كنتُ أطوى البطنَ والزادُ يشتهى

مخافةَ يومًا أن يقالُ لئيمُ[1]

قال الأنبارى : رواه الكسائى والفراء عن بعض العرب برفع (يقال)[2] ، وقد اختلف النحاة فى تفسير الرفع بعد (أن) فى بيت حاتم ، وفى الشواهد التالية :

أبى الناس وَيبَ الناسِ أنْ يشترونها

ومن يشترى ذا علة بصحيح[3]

وقال آخر :

إذا كان أمرُ الناسِ عند عجوزهم فلابد أنْ يلقون كل يباب[4]

وأنشد الفراء عن القاسم بن معن :

أن تهبطين بلاد قو مٍ يرتعون من الطلاح[5]

---

(١) الديوان ١٧٥ .
(٢) انظر مثلا ضرائر الشعر ١٦٤ والمغنى ٤٢ .
(٣) ضرائر الشعر ١٦٤ .
(٤) السابق ١٦٤ وانظر الهمع ٢٨٥/٢ .
(٥) معانى القرآن ١٣٦/١ وانظر الخصائص ٣٩٠/١ وشرح المفصل ٩/٧ .

وقال آخر :

أن تقـرآن علـى أسـماء ويحكمـا منى السلام وأن لا تشعرا أحـدا[1]

وقـد قـرأ ابـن محيـصن : ﴿ لِمَـنْ أَرَادَ أَن يُـتِمُّ الرَّضَـاعَةَ﴾ (البقرة : ٢٣٣) برفع (يتم)[2] .

فالكوفيون يرون أن (أنْ) هذه هى المخففة من الثقيلة شـذ اتـصالها بالفعل[3] ، والبصريون يرون أن (أنْ) فى جميع ذلك هى الناصبة للفعـل إلا أنها أهملت حملا على (ما) المصدرية ، فلم تعمل لمشابهتها لها فى أنها تقدر مع ما بعدها بالمصدر[4]، وقيل هى لغة لبعض العرب يرفعون الفعـل بعـد (أن) .

وذهب ابن عصفور وأبو حيان إلى أن رفـع المـضارع بعـد (أن) ضرورة ، قال أبو حيان معلقا على رفع (يتم) فى قراءة ابن محيصن : وقـد جاز رفع الفعل بعد (أن) فى كلام العرب فى الشعر : أن تهبطين ، أن تقرآن وهذا عند البصريون هى الناصبة للفعل ، وترك إعمالها حملا علـى مـا أختها فى كون كل منهما مصدرية، وأما الكوفيون فهى عندهم المخففة مـن الثقيلة ، وشذ وقوعها موقع الناصبة ، كما شذ وقوع الناصبة موقع المخففة ، والذى يظهر أن إثبات النون فى المضارع المذكور مـع (أن) مخـصوص

---

(١) الخصائص ٣٩٠/١ والمغنى ٤٢ .

(٢) البحر المحيط ٢٢٣/٢ .

(٣) وهذا أيضا رأى الفارسى وابن جنى ، انظر الخصائص ٢٩١/١ وشرح المفصل ١٤٣/٧ .

(٤) انظر مثلا الإنصاف ٤٥١ والمغنى ٤٢ .

بضرورة الشعر ، ولا يحفظ (أن) غير ناصبة إلا فى هذا الشعر ، والقراءة المنسوبة إلى مجاهد ؛ وما سبيله هذا لا تبنى عليه قاعدة[1] .

وأرى أن رفع المضارع بعد (أن) من الأساليب العدولية وليس من الضرورة ، لورود الرفع فى قراءة ابن محيصن ، فهى وإن كانت شاذة إلا أنها ليست شعرًا حتى تدرج ضمن الضرائر .

استعمال الفعل الواقع بعد (عسى) بغير (أن)

الأعرف فى (عسى وأوشك) أن يستعمل الفعل بعدهما (بأن) ، قال تعالى : ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة : ٢١٦) ، وقال عز وجل : ﴿ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ ﴾ (المائدة : ٥٢) ، وقال أيضًا : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ (محمد : ٢٢)

وقد ورد خبر (عسى) مجردًا من (أن) فى قوله حاتم

عسى يرى نارك من يمر[2]

فقد استعمل حاتم (عسى) بغير (أن) والاختيار فى (عسى) أن تذكر معها (أن) لتراخيها عن كاد[3] . وقد ذهب سيبويه إلى أن ذلك جائز فى الكلام قال : "اعلم أن من العرب من يقول : عسى يفعل ، يشبهها بـ (كاد)[4] ، وقد خالفه فى ذلك المبرد والفارسى وجمهور البصريين ، حيث ذهبوا إلى أن أن حذف (أن) مع عسى جائز لضرورة الشعر ، قال المبرد :

---

(١) البحر المحيط ٢٢٣/٢ وضرائر الشعر ١٦٢ .

(٢) الديوان ٢٥٩ .

(٣) انظر مثلا الإيضاح العضدى ٨٠ والهمع ٤١٧/١ .

(٤) الكتاب ١٥٨/٣ .

"ولو احتاج شاعر إلى الفعل فوضعه موضع المصدر جاز ، لأنه دال عليه[1] . وقال الفارسى فى الإيضاح ، وربما اضطر الشاعر فحذف (أن) من خبر عسى ، تشبيهًا لها بكاد كما تشبه كاد بعسى ، والاختيار فى عسى ألا تستعمل معها أن لمقاربة الحال . وفى عسى أن تذكر معها أن لتراخيها عن كاد[2] . وقد ذكر ذلك ابن عصفور ضمن ضرائره واستشهد على ذلك بقول مالك بن الريب :

وماذا عسى الحجاج يبلغ جهده إذا نحن جاوزنا حفير زياد

وبقول هدبة به الخشرم :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

وبقول الشاعر :

عسى الله يغنى عن بلاد بن قادر بمنهمر جون الرباب سكوب

وبقول الآخر :

فأما كيس فنجا ولكن عسى يغتر بى حمق لئيم[3]

وقد رجح ابن عصفور مذهب القائلين بالضرورة لأن القياس يقتضى ألا يجوز ذلك إلا فى الشعر ، لأن استعمالها بغير (أن) إنما هو بالحمل على (كاد) ، لشبهها بها من حيث جمعتهما المقاربة ، وكاد محمولة فى استعمالها بغير (أن) على الأفعال التى هى للأخذ فى الفعل نحو جعل يفعل من جهة

---

(١) المقتضب ٩٦/٣ .

(٢) الإيضاح العضدى ٧٩ ، ٨٠ وانظر مثلا شرح الجمل ١٧٩/٢ والهمع ٤١٩/١ .

(٣) ضرائر الشعر ١٥٣ .

أنها لمقاربة ذات الفعل ، وليست (عسى) كذلك ، لأن فيها تراخيا فلما كانت محمولة فى استعمالها بغير (أن) على ما هو محمول على غيره ، ضعف الحمل فلم يجئ إلا فى الضرورة[1] .

حذف حرف العطف

اختلف النحاة فى جواز حذف العطف فى غير الشعر ، فأجازه ابن مالك والسيوطى ، ومنعه ابن جنى والسهيلى وابن الضائع ، وقصره ابن عصفور والقزاز على ضرورة الشعر ، قالوا : لأن الحروف دالة على معان فى نفس المتكلم، وإضمارها لا يفيد معناها ، وقياسًا على حروف النفى والتأكيد والتمنى والترجى وغير ذلك[2] .

قال ابن عصفور : ومنه – أى من ضرائر الحذف – حذف حرف العطف إذا دل المعنى عليه نحو قوله :

كيف أمسيت كيف أصبحت مما يزرع الودّ فى فؤاد الكريم

يريد : وكيف أصبحت . وقوله :

فأصبحن ينشرن آذانهن فى الطرح طرفًا شمالا يمينًا

يريد : ويمينا . وأنشد ابن الأعرابى :

مالى لا أسقى على علاتى صبائحى غبائقى قيلاتى

يريد : صبائحى وغبائقى وقيلاتى

---

(١) السابق وانظر أيضًا الإيضاح العضدى ٨٠ .

(٢) الهمع ٣٩١/٣ .

وقال آخر :

ضـــربا طلخفـــا فـــى الطلـــى ســـخينا

يريد : وسخينا[1] .

أما من أجاز حذف حرف العطف فى غير الشعر فقد استدل بوروده فى الحديث الشريف ومنه قوله ﷺ : "تصدق رجل من دينار من درهمـــه من صاع بره من صاع تمرًا"[2] ، وحكى أبو زيد : أكلت خبزًا لحمًا تمـــرًا وحكى أبو الحسن : أعطه درهما درهمين ثلاثة[3] .

وقد ورد حذف حرف العطف فى شعر حاتم الطائى فى قوله :

أرســمًا جديـدًا مـن نـوارَ تعـرَّفُ تسائلُهُ ، إذْ ليس بالدار موقـفُ[4]

فقوله : (تعرف تسائله) يجوز أن يكون على حذف حرف العطـف والتقدير : تعرف وتسائله ، وهنا يكون الطائى قد دخل فى باب الـضرورة على رأى ابن جنى والسهيلى وابن الـضائع وابـن عـصفور والقزوينـى وغيرهم .

وإن كنت أرى – كما يرى ابن مالك والسيوطى – أن هذا الحـذف ليس خاصًا بالشعر لوروده فى الحديث الشريف . وبذلك يكون الطائى قـد عدل فى حذف حرف العطف ، فالأصل أن يذكر حرف العطف لأن الحروف

---

(١) ضرائر الشعر ١٦١ وانظر الخصائص ٢٨٢/٢ .

(٢) انظر شواهد التوضيح ٦٢ .

(٣) الهمع ١٩٣/٣ .

(٤) الديوان ٢١١ .

دالة على معان فى نفس المتكلم وإضمارها لا يفيد معناها ، ومن الاستعمال العدولى حذف حرف العطف كما فى قول الطائى (تعرف تسائله ...) .

حذف خبر كان لدلالة المعنى عليه

قال أبو حيان : نص أصحابنا على أنه لا يجوز حذف اسم كان واخواتها ولا حذف خبرها لا اختصارًا ولا اقتصارًا . أما الاسم فلأنه مشبه بالفاعل وأما الخبر فكان قياسه جواز الحذف ، لأنه روعى أصله ، وهو خبر المبتدأ فإنه يجوز حذفه . أو ما آل إليه من شبهه بالمفعول فكذلك . لكنه صار عندهم عوضًا من المصدر ، لأنه فى معناها ، إذ القيام مثلا كون من أكوان زيد ، والأعراض لا يجوز حذفها .

وقد جاء فى شعر حاتم الطائى حذف الخبر فى قوله :

فأطعمته من كبْدها وسنامها شواءً وخيرُ الخير ما كان عاجلُه[1]

ما كان عاجلُه ، برفع (عاجله) على أنها اسم كان ، وعلى ذلك فالخبر محذوف وهناك تقدير آخر ، أن يكون (عاجله) خبر كان ، ويقدر ضمير مستتر يعود على (الخير) وعلى ذلك (فعاجله) حقها النصب ، إلا أن الشاعر أقوى إذ البيت من قصيدة مرفوعة الروى أولها :

وداعٍ دعا بعد الهدوّ كأنما يقاتل أهوالَ السُّرَى وتقاتلُه[2]

وعلى كل فالشاعر عدل عن الأصل ، فإما أن يكون حذف الخبر ، وإما أن يكون حذف الاسم والخبر موجود إلا أنه جاء مرفوعًا لمراعاة حركة الروى فى القصيدة .

---

(١) الديوان ٢٨٧ .

(٢) الديوان ٢٨٧ .

أما حذف الخبر فى باب كان فمن ضرائر الشعر والنحاة يستشهدون على ذلك بقول الشاعر :

لهفى عليك للهفة من خائف يبغى جوارك حين ليس مجير

أى ليس فى الدنيا مجبر ، وقال عمرو بن الأهتم :

فإن قصدوا لحق حَقَّ فاقصدْ وإن جاروا فجر حتى يصيروا

أى حتى يصيروا تبعًا لك[1] .

إجراء المعتل مجرى الصحيح [إطالة الحركات القصيرة]

أجاز النحاة للشاعر فى الضرورة أن يجرى المعتل مجرى الصحيح ، وهذا باب واسع من أبواب الضرورة ، فللشاعر أن يقول : لم يأتيك ، لم ترى ...

وقد أجرى حاتم الطائى المعتل مجرى الصحيح فى قوله :

لم يُنْسنى أطلالَ ماويةَ ناسى ولا أكثرُ الماضى الذى مثله يُنْسى[2]

فالأصل أن نقول "ناسٍ وقاض ، وداع" فى حالتى الرفع والجر هذا فى سعة الكلام ، أما فى الشعر فللشاعر أن يظهر الضمة والكسرة فى ياء المنقوص ، إجراء للمعتل مجرى الصحيح ، والشاعر متى احتاج إلى إظهار الضمة أو الكسرة أظهرهما ، والشواهد على ذلك كثيرة منها قول جرير :

فيومًا يجازين الهوى غيرَ ماضٍ ويومًا ترى منهن غُولا تغوّلُ

---

(١) ضرائر الشعر ١٨٢ والهمع ١/٣٧٠ .

(٢) الديوان ١٧١ .

وقول المنتخل :

أبيت على معارىَ فاخرات بهن مُلَوَّب كدم العباط

وقال عبد الله بن قيس الرقيات :

لا بارك الله فى الغوانى هَلْ يُصبحن إلا لهن مطَّلَبُ

وقال الشاعر :

ما إن رأيت ولا أرى فى مدتى كجوارٍ يلعبن فى الصحراء

وقال الفرزدق :

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

وقال جرير :

وعرقُ الفرزدق شرُّ العروق خبيثُ الثرى كابِىُ الأزند

وقال آخر :

وكأن بين الخيل فى حافاته تدلى بهن دوالىُ الزراع

وقال الشاعر :

ولم يختضب سُمْرُ العوالِى بالدم

وقال الشاعر :

جاءنى ناعى ينعى سليمى[1]

---

(١) انظر هذه الشواهد الكتاب ٣١٤/٣ ، والمقتضب ١٤٤/١ والأصول ٤٤٣/٣ وما يحتمل الشعر من الضرورة ٦٥ والخصائص ١٥٩/٣ وشرح الجمل ٥٨٣/٢ وشرح المفصل ١٠١/١٠ ، وضرائر الشعر ٤٢ والضرورة اللغوية فى الشعر الجاهلى ١٣١

فالأصل فى قول حاتم الطائى ناسٍ ، وكذا فى بقية الشواهد : "غيـر ماضٍ – على معارٍ – كجوارٍ – مولى موالٍ ٠٠٠٠٠

قال البغدادى فى شرحه لشاهد الرضى "كجوارى يلعبن بالصحراء" : على أن قومًا من العرب يجرون الياء مجرى الحرف الصحيح فى الاختيار ، فيحركونها بالجر والرفع ، وقال فى شرح الكافية : إن هذا ضرورة ، وهـو المشهور[١] ، قال الدكتور محمد حماسة : وربما حملهم علـى الفـرار مـن الزحاف فى الشعر وإن كان البيت يتقوم فى الإنشاد أن يكون عليه الكـلام ، ثم ساق الشواهد على ذلك : على معارى ، كجوارى ، فى الغوانى ، ثم عقب على ذلك بقوله : فالشعراء هنا يضحون بقوانين الأعراب فى سبيل حمايـة الشعر من الزحاف أحيانًا ، والزحاف مما يجيزه العروضيون فى الـشعر ٠ وهذا يدل على أن رعاية النسق الموسيقى كانت أهم مـن رعايـة قـوانين الإعراب ٠ ولا أن هذا كان عرفًا سائغًا بينهم ، ولو كانت للإعـراب تلـك الأهمية القصوى التى أسبغها عليه النحاة ، لما ضحى به الشعراء فى سـبيل جائز غير محظور[٢] ٠

حذف الفتحة من الفعل المعتل المنصوب

الأصل أن ينصب المضارع بالفتحة "لن يغزو ، أن يرمى" وأجـاز النحاة للشاعر حذف الفتحة التى هى علامة إعراب من آخر المضارع وقـد ورد هذا الأسلوب العدولى فى شعر حاتم الطائى ، قال :

وأجعـلُ مـالى دون عرضـىَ جُنَّـةً

لنفسى ، فاستغنى بما كـان مـن فَـضْلِ[٣]

---

(١) شرح شواهد الشافية ٤٠٤ ٠
(٢) لغة الشعر ٢٧٦ ٠
(٣) ديوانه ١٤٨ ٠

أسكن الطائى أو حذف الفتحة من (استغنى) وحقه أن ينصب بالفتحة ، كما هو معروف .

وقد ورد هذا الأسلوب العدولى كثيرًا فى لغة الشعر ، من ذلك قول الأعشى :

فآليتُ لا أرثى لها من كلالةٍ ولا من حفى حتى تلاقى محمّدا[1]

حذف الفتحة من (تلاقى) ، ومثله قول الراعى :

تأبى قضاعةُ أن تعرفَ لكم نسبًا وابنا نزارٍ فأنتم بيضةُ البلدِ

وقال آخر :

أخلقْ بذى الصبر أنْ يظفرْ بحاجته ومدمن القرعِ للأبواب أن يلجا

وقال لبيد :

تراك أمكنه إذا لم أرْضها أو يرتبطْ بعضَ النفوس حمامها

أسكن (يرتبط) وهو فى الأصل منصوب ، لأنه بعد (أو) التى بمعنى : (إلا أن) ، وإذا كانت بمعنى (إلا أن) لم يكن الفعل بعدها إلا منصوبًا بإضمار (أن)[2] .

قال ابن عصفور : وحذفها – أى الفتحة – من آخر الفعل المعتل أحسن ، نحو قوله :

إذا شئت أن تلهو ببعض حديثها رفعن وأنزلن الفطين المولدا

وكتاب الشعر ١٩٥/١ .

(١) انظر مثلا شرح المفصل ١٠٢/١٠ .

(٢) ضرورة الشعر ٨٩ ، ٩٠ .

وقال عامر بن الطفيل :

فما سودتنى عامر عن وراثة أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

وقال الشاعر :

وأن يعرين إن كسى الجوارى فتنبو العين عن كرم عجاف[1]

وقد ورد حذف الفتحة فى شعر عمر بن أبى ربيعة أكثر من مرة مثل قوله :

إنى لأجذل أن أمسى مقابله حبًا لرؤية من أشبهت فى الصور[2]

أسكن الياء من (أمسى) وهى فى موضع نصب .

وقال أيضًا :

وإذا جئتها لأشكو إليها بعض ما شفنى وما قد شجانى[3]

وقال أيضًا :

فإنى سأخفى العين عنك فلا ترى مخافة أن يفشو الحديث فيسمعا[4]

والملاحظ أن حذف العلامة الإعرابية – الفتحة من آخر المضارع المنصوب – قد خدم وزن الشعر ، ولو ظهرت لكسرت الأبيات .

وقد جاء حذف الفتحة فى بعض القراءات الشاذة ، كقراءة الحسن ﴿ أَوْ يَعْفُو الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ (البقرة : ٢٣٧) بإسكان الواو ، قال ابن

---

(١) ضرائر الشعر ٩٠ ، ٩١ وانظر مثلا الكتاب ٣٠٦/٣ والمقتضب ٢٢/٤ ولغة الشعر ٢٦٩ .

(٢) ديوان عمر بن أبى ربيعة ١٢٤ .

(٣) السابق ٢٧٣ .

(٤) السابق ١٧٩ .

جنى : سكون الواو من المضارع فى موضع النصب قليل ، وسكون الياء فيه أكثر[1] .

وقد قرأ طلحة بن سليمان : ﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (القيامة : ٥٠) (يحيى) ساكنة الياء[2] .

والملاحظ أن الطائى أسكن المضارع البائى وهو ما وصفه ابن جنى بأنه أكثر من السكون فى الواوى ، ومثله قول حندج بن حندج المرى :

ما أقدر الله أن يدنى على شحط من داره الحزن ممن داره صول

حيث أسكن الياء من (يدنى) .

إسكان الياء فى موضع النصب

وهذه المسألة متعلقة بسابقتها ، فكما أجاز النحاة للشاعر أن يحذف الفتحة التى هى علامة إعراب من آخر المضارع ، أجازوا له أيضًا أن يحذف الفتحة من آخر الاسم المعتل ، فله أن يقول : "إن القاضى" بإسكان الياء ، قال ابن عصفور : ومن هذا النوع حذف الفتحة التى هى علامة إعراب من آخر الاسم المعتل ، تخفيفًا وتشبيهًا للمنصوب بالمرفوع والمخفوض[3] ، وقال سيبويه : "سألت الخليل عن الياءات لم تنصب فى موضع النصب إذا كان الأول مضافًا وذلك قولك : رأيت معدى كرب واحتملوا أيادى سبا ؟ فقال : شبهوا هذه الياءات بألف مثنى حيث عروها من الجر والرفع ، فكما عرّوا الألف منه ، عروها من النصب أيضًا[4] .

---

(١) المحتسب ١٢٧/١ .

(٢) انظر المحتسب ٣٤٤/٢ .

(٣) ضرائر الشعر : ٩١ .

(٤) الكتاب ٣٠٦/٣ .

وقد ورد إسكان الياء فى موضع النصب فى الاسم المعتل عند حاتم الطائى فى قوله :

أقـــصِّرُ كفـــى أنْ تنـــالَ أكفهُـــمْ إذا نحنُ آهوينا وحاجاتُنـــا معـــا[1]

حيث أسكن الطائى الياء من (كفى) أو حذف الفتحـــة فـــى موضـــع النصب . وقد اختلف النحاة حول هذا الإسكان ، فالفراء يذهب إلى أن إسكان الياء فى موضع النصب لغة للعرب ، قال : وهى لغة فصيحة عند أبى حاتم السجستانى ، وقد خرج عليها الفراء قراءة : ﴿ مِنْ أَوْسَـطِ مَـا تُطْعِمُـونَ أَهْلِيكُمْ ﴾ (المائدة : ٨٩) بإسكان الياء[2] .

أما جمهور النحاة فيرون هذا الإسكان ضرورة ، وهى من الضرائر الحسنة عند ابن عصفور[3] ، وهى من أحسن الضرورات عند المبرد ، قال : حتى إنه لو جاء به جاءٍ فى النثر لكان جائزًا ، وشواهد ذلك فـــى الـــشعر أكثر من أن يؤتى بها[4] .

والشواهد على إسكان الياء أكثر من أن تحصى كما قال ابـــن جنـــى منها قول الشاعر :

إن القـــوافى يـــتَّلجن موالجـــا تضايقُ عنهـــا أن تولَّجهـــا الإبـــرْ

والشاهد تسكين الياء من (القوافى) وهى منصوبة[5] وقال الأعشى :

---

(١) ديوان حاتم الطائى ١٧٤ .

(٢) انظر الهمع ١/١٨٠ .

(٣) ضرائر الشعر ٩٣ .

(٤) المقتضب ٤/٢٢ وانظر المحتسب ٢/٣٤٣ .

(٥) انظر مثلا الخصائص ١/١٥ .

فتى لو ينادى الشمس ألقت قناعهـا أو القمر السارى لألقـى المقالـدا

(السارى) بتسكين الياء وحقها النصب بالفتحة ، وقال النابغة :

ردت عليـــه أقاصـــيه ولبـــده ضرب الوليدة بالمسحاة فى الثـأر

(أقاصيه) بتسكين الياء ، وقال رؤبة :

كأن أيديهن بالقاع القرق . وقال أيضًا :

سوى مساحيهن تقصيط الحقق . وقال الشاعر :

وكـسوت عـارى لحمـه فتركتـه جـذلان يـسحب ذيلـه ورداءه

وقال آخر

فلا تسلينى واسـألى عـن خليقتـى إذا رد عافى القدر من يستعيرها [1]

وقال الحطيئة :

يـــا دار هنـــد عفـــت إلا أثافيهـــا

وقد ورد إسكان الياء فى موضع النصب فى كلام العرب النثـرى ، وقد سبق أن نقلنا عن المبرد قوله : لو جاء به جاء فى النثر لكان جـائزًا ، ومما جاء فى النثر قول العرب : لا أكلمك حيـرى دهـر ، أعـط القـوس باريها ، احتملوا أيادى سبا ، ورأيت معدى كرب ، ونزلت قالى قلا ... بإسكان الياء فى كل ذلك[2] .

---

(١) انظر فى هذه الشواهد المقتضب ٢٢/٤ وكتاب الشعر ٥١٩/٢ والخصائص ١٥/١ ، ٢٩١/٢ والمحتسب ١٢٦/١ ، ٣٤٣/٢ وشرح المفصل ١٠٢/١٠ والهمع ١٧٩/١ وشرح شواهد الشافية ٤١٠ ، لغة الشعر للدكتور محمد حماسة ٢٦٩ ، ٢٧٠ .

(٢) انظر مثلا الخصائص ١٥/١ ، ٢٩١/٢ والمحتسب ١٢٦/١ ، ٣٤٣/٢ .

وقد ورد هذا الإسكان فى بعض القراءات الشاذة ، ففى المحتسب قال ابن جنى : قال عباس : سألت أبا عمرو ، وقرأ (ثانىَ اثنين) قال أبو عمرو : وفيها قراءة أخرى لا ينصب الياء (ثانىْ اثنين) قال أبو الفتح : الذى يعمل عليه فى هذا أن يكون أراد (ثانىَ اثنين) كقراءة الجماعة ، إلا أنه أسكن الياء تشبيها لها بالألف ، فإن قيل : كيف تجيزه فى القرآن وهو فى موضع اختيار لا اضطرار ؟ قيل : قد كثر عنهم جدًا ثم ذكر شواهد على ذلك ثم عقب على هذه الشواهد بقوله : فإذا كثر هذه الكثرة وتقبله أبو العباس ذلك التقبل ساغ حمل القراءة عليه[1] .

ويمكن أن نعد إسكان الياء فى موضع النصب من الأساليب العدولية لعدة أسباب منها ما ذكره الفراء أن هذا الإسكان لغة ، وقد نقل عن السجستانى أنه لغة فصيحة ، ومنها أيضًا أن هذا الإسكان ورد فى بعض القراءات القرآنية ، ومنها كثرة ورود هذا الإسكان فى كلام العرب النثرى ، والنثر ليس موضع اضطرار . وعليه فإن قول حاتم الطائى :

أقصر كفى أن تنال أكفهم من العدول عن الفتح إلى الإسكان

-وإن أدى الفتح إلى كسر الوزن -

---

(١) المحتسب ٢٩١/١ .

حذف العائد المجرور

قال الطائى :

ومن كرم يجور على قومى وأى الدهر ذو لم يحسدونى[1]

ذكر النحاى أن حذف العائد من قول الطائى : لم يحسدونى شاذ أو نادر ، لأنه حذف العائد المجرور ولم تكمل شروطه والتقدير : لم يحسدونى فيه[2] ، والنحاة يستشهدون على ذلك بقول الشاعر :

ويوم شهدناه سليما وعامرًا قليلا سوى الطعن النهال نوافله

أى : شهدنا فيه ، وقال الراجز :

يارب يوم لى لا أظللـه

أى لا أظلل فيه ، وأنشد أبو على :

تروحى أجدر أن تقيلى

أى تقيلى فيه[3]

حذف التاء للقافية

قال حاتم الطائى :

إنا بنو عمكم ما إنْ نباعلكُمْ ولا نجاوركُمْ إلا على ناح

---

(١) الديوان ٢٧٦ .

(٢) انظر مثلا العينى ٤٥١/١ .

(٣) الحجة ٤٥/٢ وانظر مثلا المحتسب ٢١٢/١ والهمع ١٢٣/٢ .

ورد فى الشرح : ناح : أى على ناحية[1] . أى أن الطائى حذف التاء للقافية، أو رخم (ناحية) على رأى السيرافى الذى يجعل هذا النوع من الحذف ترخيمًا قال : والوجه الثانى من الترخيم أن ترخم الاسم فتبقى من حروفه ما يدل على جملة الكلمة من غير مذهب ترخيم الاسم المنادى وهذا أيضًا من ضرورة الشعر قال لبيد :

درس المنـــــا بمتـــــالع فأبانـــــا

المنا : أى المنازل ثم حذف الزاى واللام . وقال علقمة بن عبدة

كأن إبـريقهم ظَبْـيٌ علـى شـرف مفـدَّمٌ بـسبا الكتّـانِ مَلْثُـومُ

أراد : بسبايب الكتان . وقال العجاج :

قواطنـــا مكـــة مـــن ورق الحمـــى[2]

ومن الشواهد على ذلك أيضًا قول إسحاق بن خلف البهرانى :

ولـبس العجاجـة والخافقـات تريـك المنـا بـرؤوس الأسـلْ

المنا أى المنايا ، وقال الأخطل :

وكانت مناها بـأرض لـيس يبلغهـا بصاحب الهـم إلا الناقـة الأجـد

مناها أى منازلها[3] .

---

(١) الديوان ١٧٨ .

(٢) ما يحتمل الشعر ١٠٢ وانظر لغة الشعر ٢٠٥ .

(٣) انظر الخصائص ٨١/١ ، ٤٣٧/٢ وشرح الجمل ٥٩٣/٢ والهمع ٢٣٧/٣ .

إسكان المتحرك

ورد إسكان المتحرك ثلاث مرات فى شعر الطائى ، المرة الأولى فى قوله :

إذا قاتلتْ أهلُ اليمامةِ طيئًا فيا رحمَكْ الرحمنْ فأذنْ لهم بَعْدْ[1]

فـ (رحْمك) أصلها : رحمك بكسر الحاء ، والمرة الثانية فى قوله :

بينما ذاك أصبحتْ وهى عَضْدى من سُبىٍّ مجموعةٍ ونهابِ[2]

عَضْدى أصلها عَضدى بضم الضاد ، والمرة الثالثة فى قوله :

بيفاعٍ وذاك منها محلٌّ فوقَ مَلْكٍ يدينُ بالأحْسابِ

مَلْك أى (مَلِك) بكسر اللام .

وقبل الحديث عن إسكان المتحرك ينبغى أن نفرق بين هذه الضرورة وبين تسكين حركة الإعراب فالأخيرة لم ترد فى شعر الطائى ، وشواهدها فى النحو كثيرة مثل فاليوم أشربْ غير مستحقب ...

وقد بداهَنْك من المئزر ، ونهر تيرى فما تعرفْكم العرب ...

أما ما ورد فى شعر الطائى فلا يندرج ضمن تسكين حركة الإعراب ، بل يسمى إسكان المتحرك . وهذا من أسهل الضرورات كما قال السيوطى[3] وبعض النحاة يسميه تخفيفًا[4] ، قال سيبويه فى باب ما يسكن

---

(١) الديوان ١٥٥ .

(٢) السابق الصفحة نفسها .

(٣) الهمع ١/١٥٤ .

(٤) شرح شواهد الشافية ١٥ .

يسكن تخفيفًا وهو فى الأصل عندهم متحرك وذلك قولهم فى فَخِذ فَخْذ ، وفى كَبِدْ كَبْد ، وفى عَضُد عَضْد ، وفى كَرُم كَرْم ، وفى عَلِمْ عَلْم ، وهى لغة بنى بكر بن وائل وأناس كثير من بنى تميم ، قالوا فى مثل : لم يحرم من فُصِدْ له ، وقال أبو النجم :

لـو عُـصِرْ منـه المـسك والبـان انعـصر[1]

وبالرجوع إلى شعر الطائى نجده أسكن العين من صيغة فَعْـل فـى قوله (عَضْدى) .

وقد علل النحاة هذا الإسكان بالتخفيف ، كما أسكن الطائى (رَحِمـك) أى صيغة (فَعِل) . وكذا فى (ملك) .

وبالرجوع إلى كتب النحاة نجدهم يذكرون شواهد على هذا الإسكان ففى إسكان (فعل) قال ابن عصفور : فأما نقص الحركة فمنه حذفهم الفتحـة من عين (فعل) مبالغة فى التخفيف وأنشد :

علـى مجـالات عكـسن عكـسا إذا تـسدَّاها طِلابًـا غَلْـسا

أسكن اللام من غَلَس[2] ، وقال آخر :

وما كل مغبون ولـو سَـلْفِ صَـفْقُه براجـعٍ مـا قـد فاتـه بـردادِ

آى سلَف[3] ، وقال آخر :

وقـالوا ترابـىٌّ فقلـتُ صـدقتمُ أبى مـن تـرابٍ خَلْقَـه الله آدَمُ[1]

---

(١) الكتاب ٢٥٨/٢ .

(٢) ضرائر الشعر ٨٤ وشرح الجمل ٦٠١/٢ وشرح شواهد الشافية ١٨ .

(٣) ضرائر الشعر ٨٤ والخصائص ٣٣٨/٢ .

وقال أبو خراش :

ولحم امرئ لم تطعم الطيرُ مثلَه عشية أمسى لا يبينُ من البكمِ

أى من البكم[٢] ، وقال الشاعر :

حتى ديار الحى قفر البلد من هجيم وأعالى الصرد[٣]

ومن الصيغ التى أجاز النحاة فيها الإسكان ضرورة صيغة فعلات ، قال السيوطى : وهو – أى الإسكان – من أسهل الضرورات ، ومن شواهده قول عروة بن حزام :

وحُمِّلتُ زَفْراتِ الضحى فأطقتُها ومالى بزَفْراتِ العشى يدانِ[٤]

ومن إسكان المتحرك أيضًا قول كعب بن معدان :

لقد ضَجَّتْ الأَرْضُون إذا قام من بنى هدادٍ خطيبٌ فوق أعوادِ منبرِ

وقول الآخر :

وأيةَ بلدةٍ إلا أتينا من الأَرْضين تعلمه نزار[٥]

فالأصل : الأرضون بفتح الراء ، وسكنت للضرورة .

---

(١) ضرائر الشعر ٨٤ وشرح شواهد الشافية ١٨ .

(٢) ضرائر الشعر ٨٥ .

(٣) شرح الجمل ٦٠١/٢ .

(٤) الهمع ٨٤/١ وانظر الخزانة ٣٨٠/٣ .

(٥) الهمع ١٥٤/١ .

إذن خلاصة القول أن الطائى سكن فَعْل : عضد • وهو وزن يجوز فيه التسكين فى غير الشعر[1] ، كما سكن (مَلَك – ورَحِم) ، وهذا من الضرورة ويمكن أن يقاس ذلك فى قول الراجز :

فبات مُنْتَصْبًا وما تكردسا إذا أحسّ نباةً توجّسا

على أن أصله (منتصبا) بكسر الصاد فسكنت ، وكذا قولهم أراك مُنْتَفْخًا[2].

تحريك الساكن

حرك الطائى الساكن فى قوله :

أبلغ بنى ثُعَلٍ عنى مغلغلةً جَهْدَ الرسالةِ لا مَحْكًا ولا بُطُلا[3]

فـ (بُطُل) أصلها بُطْلا بتسكين الطاء من بَطَل الشيء بُطْلا وبطولا وبطلانا إذا ذهب ضياعًا • يقال بطل دم القتيل وذهب دمه بُطْلا إذا قتل ولم يؤخذ له ثأر ولا دية[4] .

وقد أجاز النحاة تثقيل فُعْل فى الكلام ، قال الرضى : يحكى عن الأخفش أن كل فُعْل فى الكلام فتثقيله جائز ، إلا ما كان صفة أو معتل العين كحُمْر وسوف، فإنهما لا يثقلان إلا فى ضرورة الشعر ، وكذا قال عيسى به عمر : إن كل فُعل كان فمن العرب من يخففه ، ومنهم من يثقله[5] .

---

(١) انظر شرح الشافية ٣٩/١ .

(٢) شرح شواهد الشافية ٢٣ .

(٣) الديوان ١٩٢ .

(٤) انظر اللسان (بطل) .

(٥) شرح الشافية ٤٦/١ .

وقد قصر ابن السراج ذلك على الضرورة ، قال : وقد ذكرنا في القوافي ما يجوز في الشعر ولا يكون في غيره ، فمنه أن يكون الاسم على ثلاثة أحرف مسكن الأوسط ، فتحركه بالحركة التي للحرف الأول ، وذلك أن يكون على (فِعْل أو فَعْل أو فُعْل) فتحركه للضرورة[1] . إذن الطائي حرك عين (بطل) ضرورة ، والشواهد على هذا التحريك متنوعة منها قول عبد مناف :

إذا تجاوبَ نَوحٌ قامتا معه ضربًا أليمًا بسبتٍ يَلْعَجُ الجِلدا[2]

يريد الجلْد فحرك اللام ، وقال رؤبة :

مشتبهِ الأعلامِ لماعِ الخَفَقْ

يريد : الخفْق ، وقال زهير :

ثم استمروا وقالوا إن مشربكُمْ ماء بشرقيّ سلمى فيدٌ أوركُ[3]

يريد : ركًا : وقال الشاعر :

قضين حجا وحاجات على عجل ثم استدرن إلينا ليلة النَّفر

يريد : النَّفْر ، وأنشد الفراء :

أبني لبيني إن أمكمُ أمة وإن أباكم عَبُدْ[4]

---

(١) الأصول ٤٤٩/٣ .

(٢) الأصول ٤٤٩/٣ وانظر مثلا شرح الجمل ٥٧٩/٢ .

(٣) شرح الجمل ٥٨٠/٢ والخصائص ٣٣٤/٢ .

(٤) معاني القرآن ٣١٥/١ .

إذن الطائى حرك عين (بطلا) ضرورة ، وهذه الضرورة لم ترد فى شعره إلا فى هذه الكلمة ، وهذا عكس تسكين المتحرك الذى ورد ثلاث مرات ٠

حذف المتعجب منه

اختلف النحاة فى جواز حذف المتعجب منه مع (أفعل) ، قال سيبويه : لا يجوز ، وقال الأخفش وقوم يجوز لقوله تعالى : ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ ﴾ (مريم : ٣٨) أى بهم ٠ وقيل : بل يحذف الجار فيستتر الفاعل فى أفعل ولا يحذف ، ورُد بأنه لو كان مستترًا لبرز فى التثنية والجمع والتأنيث[١] ٠ وقد اشترط بعض النحاة لجواز الحذف أن يكون (أفعل) معطوفا على آخر مذكور معه مثل ذلك المحذوف ٠ واستدلوا على ذلك بقوله تعالى : "أسمع بهم وأبصر" ، وقد اشترط ابن مالك وضوح المعنى لجواز الحذف ، قال :

وحذف ما منه تعجبت استبح إن كان عند الحذف معناه يَضِحْ[٢]

إذن الأصل أن يذكر المتعجب منه ، وقد يعدل عن هذا الأصل فيحذف كما قال الشاعر :

فذلك إن يلق المنية يلقها حميدًا وإن يستغن يومًا فأجدر

وقد ورد حذف المتعجب منه فى قول حاتم الطائى :

أبوه أبى ، والأمهاتُ امّهاتنا فأنْعِمْ فدتك اليومَ قومى ومعشرى[٣]

(فأنعم) ٠٠٠ وقد حذف الطائى المتعجب منه ، أى أنعم بهم

---

(١) همع الهوامع ٣/٣٩ ٠

(٢) شرح الأشمونى ٣/٢٠ ٠

(٣) الديوان ١٨٥ ٠

حذف تاء التأنيث من الفعل المسند إلى فاعل مؤنث

اختلف النحاة فى إسقاط علامة التأنيث ، فالجزولى أجاز حذف علامة التأنيث ، إلا أن حذفها عنده من غير فصل ليس بكثير[١] ، ومنع الزمخشرى حذفها فى الكلام إذا عدم الفصل وأجاز الحذف مع الفصل ، إلا أن جوازه ليس بالواسع عنده[٢] ، وذهب النحاس إلى أن ذلك لا يجوز ، فلا يجوز عنده : قام هند ، لئلا يلتبس المذكر بالمؤنث ، إذ قد يسمى المذكر باسم المؤنث ، وأجازه فى نحو : جاءتنى امرأة ، وأمثاله ؛ لأنه قد عرف المعنى ، ففرق بين العلم وغيره[٣] . وقد منع المبرد أن تترك علامة التأنيث من المسند إلى مؤنث حقيقى التأنيث حتى ولو فصل بين المسند والمسند إليه بفاصل .

وذهب ابن كيسان إلى أن هذا الحذف – حذف التاء من الفعل المسند إلى فاعل مؤنث – ليس بضرورة[٤] وقد استدل على ذلك بقول عامر بن جوين :

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض أبقل إبقالها

حيث ذهب إلى أن (أبقل إبقالها) ليس بضرورة ، لتمكن الشاعر من أن يقول : أبقلت إبقالها .

وعلى كل فالشواهد التى وردت فى هذا الباب قد وقع فيها جدل كبير بين النحاة ، من هذه الشواهد قول عامر بن جوين : ولا أرض أبقل إبقالها

---

(١) ضرائر الشعر ٢٧٨ .

(٢) انظر شرح المفصل ٩٣/٥ .

(٣) ضرائر الشعر ٢٧٨ والهمع ٢٩٢/٣ .

(٤) المغنى ٦٢٠ .

وقول الأعشى :

فـــإن تعهـــدينى ولـــى لمـــةٌ فـــإنّ الحـــوادثَ أودى بهـــا

وقال زياد الأعجم :

إن الـــسماحة والمـــروءة ضُـــمنا قبرًا بمرو على الطريق الواضـــح

وقال جرير :

لقـــد ولـــد الأخيطـــل أم ســـوء .....

وقال لبيد :

تمنـــى ابنتـــاى أن يعـــيش أبوهمـــا وهل أنا إلا من ربيعة أو مـــضر[1]

وقد أسقط حاتم الطائى علامة التأنيث فى شاهدين ، الأول قوله :

وانحجـــر النابحـــات واقتـــسمت بالنـــار عنـــد اقتـــداحها الزنـــد[2]

فقال : وانحجر النابحات ، أسقط علامة التأنيث ، على الرغم من أن الفاعل مؤنث ، ومثله قوله :

ألف بحلسى الزاد مـــن دون صـــحبتى

وقـــد آب نجـــم واســـتقلّ نجـــومُ[3]

---

(١) انظر فى هذه الشواهد الكتاب ٤٦/٢ ومـا يحتمـل الـشعر مـن الـضرورة ٢٦٢ والمقتضب ١٤٨/٢ ومعانى القرآن للفراء ٣٠٨/٢ والخـصائص ٤١١/٢ والخزانـة ٤٥/١ وما بعدها .

(٢) الديوان ١٥٩ .

(٣) السابق ١٧٦ .

واستقل نجوم ، أسقط علامة التأنيث من (استقل) على الرغم من أن الفاعل مؤنث ، وهذا من الاستعمال العدولى ، حيث عدل الطائى من التأنيث إلى التذكير ويسمى الدكتور تمام حسان ذلك بالمراوحة بين اللفظ والمعنى من حيث التذكير والتأنيث ، يقول فى كتابه البيان فى روائع القرآن : ولما كان الشأن فى الكلام أن تكون المطابقة قرينة على المعنى النحوى ، كان عدم استصحابها عدولاً عنها وكان شيوعه وقبوله أسلوبًا عدوليا[1] .

المشتقات

ذكر النحاة للمشتقات قواعد ومعان فافتعل مثلا للاتخاذ والتصرف والمطاعة والتخير وبمعنى تفاعل واستفعل وفعل ...

وللمصادر قواعدها المعروفة فـ (فُعولة) يأتى من فَعُل ، ولفعّل تفعيل وتفعلة ..

وقد خرج حاتم الطائى فى بعض الأحيان عن هذه القواعد ، فهذه القواعد – وغيرها كثير – تعد أصولا ، وما عداها يمكن أن يندرج تحت الاستعمال العدولى وأمثلته عند الطائى كالتالى :

١-صياغة أفعل من جمح

قال الطائى :

فإذا ما مررتَ فى مُستَطِرٍّ فاجمحِ الخيلَ مثلَ جَمْحِ الكعابِ

---

(١) البيان فى روائع القرآن ١٠٤/٢ .

قال أبو صالح : قال أبو عمرو : إذا انتصب الكعب قيل : جمح ، وأجمح الخيل آى أنصبها ، وزعم الأصمعى أن أجمح : أرسل ، وقال : أجمح الخيل إذا أرسلها أو دفعها[1] .

٢-الخزاة من خزى :

استعمل الطائى (الخزاة) كمصدر للفعل (خزى) فى قوله :

حيث لا أرهبُ الخَزاةَ وحولى ثعليون كالليوث الغضابِ

قال أبو صالح : الخزاة : الخزاى[2] . وهذا المصدر لم يرد فى المعاجم ففى مادة (خزى) نجد : خزى خِزْية بمعنى وقع فى بلية . فهو خزيان ، وهى خَزْيا والجمع (خزايا) ، والخِزْية : البلية ، والخصلة يستحيا منها[3] .

٣-السهود بمعنى السهد والسهاد

ورد فى شعر الطائى : (السهود) فى قوله :

أبى طولُ ليلك إلا سُهُودا فما إنْ تُبين لصبحٍ عَمُودا[4]

وبالرجوع إلى المعاجم لا نجد هذا المصدر (السهود) ، بل نجد السهاد والسهد ، ففى مادة (سهد) نجد : سهد سَهَدًا ، وسُهْدًا ، وسهادًا : أرق ، ويقال : فى عينه سهد وسهاد . فهو سهد وساهد والسُّهُد : الكثير

---

(١) الديوان ١٨٦ .

(٢) الديوان ١٨٨ .

(٣) انظر مثلا اللسان (خزى) .

(٤) الديوان ١٩٦ .

السهاد . يقال رجل سُهُد وامرأى سهد ، وعين سهد ، والسَّهْدة : المرة من السهاد[1] .

٤-مُسَجّر بمعنى مسجور

استعمل الطائى صيغة (مُسَجّر) فى قوله :

شديد مصر الدرهمين كأنما إلى كفه والعنق غُل مُسَجّر[2]

وهذه الصيغة (مُسَجّر) لم ترد فى المعاجم بل وردت مسجور ، والمسجور المتقد ، والممتلئ[3] .

٥-الهواجر جمع هاجرة

من الجموع الشاذة التى وردت فى شعر الطائى : الهواجر فى قوله :

فمن مبلغٌ عنا جديلةَ مألكًا وما إنْ أحبُّ أن تُؤدى الهواجر[4]

(الهواجر) وردت فى هذا البيت جمعًا لـ (هاجرة) وهذا من الجموع الشاذة، قال السيوطى مثلا : فواعل يطرد جمعًا لفاعل غير وصف ذكر عاقل بأن كان غير وصف ، أو وصف مؤنث أو غير عاقل ، ثانية ألف زائدة نحو حاجز وطالق . أو ثانيه واو غير ملحقة بخماسى كجوهر وكوثر وشذ فى صفة المذكر نحو فارس وفوارس ، وفيما عدا ذلك كدخان ودواخن ، وحاجة وحوائج[5] .

إذن جمع هاجرة على هواجر شاذ ، وقد استعمله الطائى .

---

(١) انظر مثلا المعجم الوسيط (سهد) .
(٢) الديوان ٢٦٠ .
(٣) انظر لسان العرب (سجر) .
(٤) الديوان ٢٦٤ .
(٥) الهمع ٣٢٢/٣ .

القلب المكانى

قال أبو حيان : القلب تصيير حرف مكان حرف بالتقديم والتأخير ، وقد جاء منه شيء كثير حتى إن ابن السكيت ألف فيه كتابًا ومع ذلك فلا يطرد شيء منه ، إنما يحفظ حفظا لأنه لم يجئ منه فى باب ما يصلح أن يقاس عليه . وذكر ابن مالك أن أكثر ما يكون القلب فى المعتل والمهموز كهارى فى هائر ، وشاكى السلاح فى شائك ، وراء فى رايى ، وآبار فى أبآر ، وقد يقدم متلو الآخر على العين نحو : طأمن ، وأصله : طمأن ؛ لأنه من الطمأنينة ، وقد تقدم العين على الفاء كما فى أيس وجاه وأينق والآراء والآبار والآدر ، وتقدم اللام على الفاء كما فى أشياء على الأصح . وقد تؤخر الفاء من اللام كما فى الحادى وأصلها الواحد[1]، وقد ورد القلب المكانى مرة واحدة فى شعر حاتم الطائى فى قوله :

صبرتُ لما يأتى به الدهرُ عامدًا ولكنما آثارنا فى مُحارب[2]

آثارنا : أى أثآرنا جمع ثأر ، وهذا مثل قولهم فى جمع رئم : أرآم وفى جمع بئر وظئر ورأى : أبآر ، وأظآر، وأرآء .

ألفاظ استخدمها الطائى بغير معناها المعجمى

من الظواهر الواضحة فى شعر حاتم الطائى استخدام ألفاظ على غير المعنى الذى ذكره أصحاب المعاجم اللغوية ، وهذه الظاهرة تكررت كثيرًا فى شعر حاتم الطائى وسنذكر الآن هذه الألفاظ مرتبة حسب ورودها فى الديوان .

---

(١) انظر مثلا شرح الشافية ٢١/١ والهمع ٤٤٠/٣ .

(٢) الديوان ٢٠٩ .

١-إلهـهـم ربـي ، وربـي إلهـهـمْ فأقـسمتُ لا أرسـو ولا أتمعـددُ

ورد فى تفسير البيت : الرسو أن يقال للصقر : زقـر ، ويـسقر : زقر ، وللصراط : زراط ، وللصقعب : زقعب[١] . واستخدام الرسو بهـذا المعنى لم يرد فى المعاجم اللغوية[٢] .

٢-مثلـك فـي ليلـة الـشتاء إذا مـا كـان يبـسا جلالهـا الجلـدُ

ورد فى الشرح : قال أبو صالح : الجليـد والـصقيع والـضريب والأوبر واحد[٣] . والجلد بمعنى الجليد لم يرد فى المعاجم اللغوية .

٣-وانحجـر النابحـاتُ واقتـسمتْ بالنـار عنـد اقتـداحها الزُنُـدُ

ورد فى تفسير الزند : اللئام ، يقال : رجل مزنّد وامرأة مزنـدة إذا كانت بخيلة ضيقة[٤] . والزند بمعنى اللئام لم تذكره المعاجم .

٤-وإنـي لأرمـي بالعـداوة أهلَهـا وأبلـغُ فـي الأعـداء لا أتنكّـفُ

استخدم الطائى الفعل (أتنكف) بمعنى أميل عليه فأضربه كما ورد فى تفسير شعره[٥] ، وهذا المعنى لا تعرفه المعاجم ، بل المعروف نكـف عـن الأمر أى عدل عنه ..[٦]

٥-وإن ظلموه قمتُ بالـسيفِ دونـه لأُصرَه إنّ الـضعيف يؤنّـفُ

---

(١) الديوان ١٤٢ .
(٢) راجع مثلا لسان العرب (رسو) .
(٣) الديوان ١٥٩ .
(٤) الديوان ١٥٩ .
(٥) الديوان ٢١٢ .
(٦) انظر مثلا لسان العرب (نكف) .

قال أبو صالح : مؤنّف : مشتوم ، يحدد إليه النظر ويشتم[١] . وهذا المعنى لا يعرف فى معاجم اللغة ، بل المعروف أنّف الشيء : حدد طرفه . ويقال : نصل مؤنّف ، وأنف فلانا : جعله يأنف ..[٢]

٦-فخرَّ على جُـرِّ الجبـين بـضربةٍ تقطُّ صِفاقًا عن حشًا غيـر مُـسْنَدِ

ورد فى تفسير الصفاق قول أبى صالح : مارق من الخاصرة وسفل منها[٣] ولم تذكر المعاجم ذلك ، بل المعروف فيها الصفاق : الجلـد البـاطن تحت الجلد الظاهر ، والصفاق : غشاء ما بين الجلد والأمعاء[٤] .

٧-فما رِمْتُه حتى تركـتُ عويـصَهُ بقيةَ عِرْقٍ يحفزُ التُّـرْبَ مِـذْودى

استخدم الطائى العويص بمعنى ما يتحرك من عِرْقه[٥] ، ولم يرد هذا المعنى فى المعاجم وكذا ذكر هذا المعنى فى قوله :

٨-فما رِمْتُه حتى أزحـتُ عويـضه وحتى علاه حالـكُ اللـون أَسْـوَدُ

وبالرجوع إلى المعاجم فى مادة (عـوص) نجـد : عـاص الأمـر عوصًا : التوى فخفض وصعب ، وعاص الكلام : خفى معناه وصعب فهمه فهو عويص[٦] .

٩-أطافوا به طوفين ثم مَـشَوا بـه إلى ذاتِ ألجـافٍ برخـاءَ قَـرْدَدِ

---

(١) الديوان ٢١٣ .
(٢) انظر مثلا اللسان (أنف) .
(٣) الديوان ٢١٤ .
(٤) انظر مثلا المعجم الوسيط (صفق)
(٥) الديوان ٢١٤ .
(٦) انظر مثلا اللسان (عوص) .

استخدم الطائى (رخاء) بمعنى الأرض الصلبة ، وهـذا المعنـى لا تعرفه المعاجم بل الرخاء : الأرض اللينة الرخوة المنتفخـة تتكـسر تحـت الأقدام[1] .

١٠-وأبرز قِدْرى بالفـضاءِ قليلُهـا يُرَى غيرَ مضنونٍ به وكثيرُهـا[2]

استخدم الطائى (مضنون) بمعنى قليل ، والمعاجم تذكر أن المضنون الشيء النفيس تضن به لمكانته منك وموقفه عندك[3] .

---

(١) انظر اللسان (رخو) .

(٢) الديوان ٢٣٢ .

(٣) انظر مثلا المعجم الوسيط ضنن .

ثانيًا : الظواهر السياقية

إقامة غير المفعول به مقام الفاعل

اختلف النحاة فى جواز تقدم غير المفعول به مع وجوده على قولين ، الأول وعليه البصريون ، لا يجوز ، لأنه شريك الفاعل ، والآخر : يجوز إقامة غير المفعول به مع وجوده ، وعليه الكوفيون والأخفش ، واشترط الأخفش لجواز ذلك تقدم نائب الفاعل . قال ابن جنى : وأجاز أبو الحسن "ضرب الضربُ الشديدُ زيدًا، ودفع الدفعُ الذى تعرف إلى محمد دينارًا ، وقتل القتلُ يوم الجمعة أخاك ونحو هذا من المسائل ثم قال : هو جائز فى القياس . وإن لم يرد به الاستعمال[1] .

وقد استشهد الكوفيون على ذلك بشواهد ، منها قراءة أبى جعفر المدنى والأعرج وشيبة[2] : ﴿ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الجاثية : ١٤) حيث أقام المجرور وهو (بما كانوا) مقام الفاعل ، وأجاب البصريون بأن (قومًا) ليس بمعمول (ليجزى) بل لفعل مضمر يدل عليه يجزى ، كأنه قال : جزى الله قومًا ويكون مفعول (يجزى) ضمير المصدر المفهوم منه ، كأنه قال : ليجزى هو أو ليجزى الجزاء[3] واستشهد الكوفيون أيضًا بقول جرير :

ولو ولدت قفيزة جرو كلب ... لسبَّ بذلك الجروِ الكلابا

---

(١) الخصائص ٣٩٨/١ وانظر مثلا شرح الجمل ٥٤٨/١ والهمع ٥٢٠/١ .

(٢) النشر ٣٥٦/٢ .

(٣) انظر مثلا الكشاف ١٨٩/٤ .

أقام المجرور وهو (بذلك) وترك المفعول المسرح وهو (الكـــلاب) ، وقد أجاب البصريون بأنه ضرورة فلا يلتفت إليها أو على أن يكون (الكلاب) منصوبًا بـــ (ولدت) فلا يكون (لسُبَّ) ما يقوم مقام الفاعل إلا المجـــرور ، ويكون (جرو وكلب) منادى محذوفًا منه حرف النداء كأنه قال : ولو ولـــدت قفيزة الكلاب يا جرو كلب لسب بذلك الجرو[1] . كما استشهد الكوفيون بقول رؤبة :

لـــــم يعـــــن بالعليـــــاء إلا ســـــيدا

أقام المجرور (بالعلياء) وترك المفعول المسرح (سيدا)[2] .

ونخلص من هذا إلى أن الأصل أنه إذا اجتمعت المفعولات للفعل لم يقم منها إلا المفعول به ويترك ما عداه ، وقد يقام غير المفعول به وجـــوده وهذا من باب العدول[3] كما قال جرير : (لسب بذلك الجرو الكلابا) وكما قال رؤبة : ولم يعن بالعلياء إلا سيدا" .

وقد ورد هذا الاستعمال العدولى فى شعر حاتم الطائى فى قوله :

متى تَرَقَ أضـــعانَ العـــشيرةِ بالأنـــا وكفٌّ الأذى يُحْسَم لك الداءَ مَحْسما[4]

---

(١) انظر مثلا شرح الجمل ٥٤٩/١ .

(٢) انظر مثلا الهمع ٥٢١/١ .

(٣) وقال ابن جنى : هذا من أقبح الضرورة ، ومثله لا يعتد أصـــلا ، بـــل لا يثبـــت إلا محتقرًا شاذًا . الخصائص ٣٩٨/١ .

(٤) الديوان ٢٢٣ .

قال : يُحْسم لك الداءَ : أقام المجرور (لك) مقام الفاعل مع وجود المفعول (الداء) ، وهذا من الاستعمال العدولى ، ولو جاء بالأصل (يُحْسم لك الداءُ) لم يكسر الوزن ، إلا أنه آثر الاستعمال العدولى .

العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض

ورد ذلك فى شعر حاتم الطائى فى قوله :

شديدَ مصرِّ الدرهمين كأنما إلى كفهِ والعنقِ غُلٌّ مُسَجَّرُ[1]

إلى كفه والعنقِ . عطف (العنق) على الضمير المجرور فى (كفه) دون إعادة العاطف ، وهذا جائز عند الكوفيين ، وقصره البصريون على ضرورة الشعر . وأصل المسألة أن الكوفيين أجازوا العطف على الضمير المخفوض نحو : مررت بك وزيدٍ ، وقد استدلوا بالقرآن وبالشعر ، حيث ذكروا أن هذا العطف ورد فى التنزيل فى قراءة حمزة والنخعى وقتادة ويحيى بن وثاب وطلحة بن مصرف والأعمش : ﴿ وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ ﴾ (النساء : ١) بجر الأرحام[2] وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ﴾ (النساء : ١٢٧) ، فما فى موضع خفض ؛ لأنه عطف على الضمير المخفوض فى (فيهن)[3] وقال عز وجل : ﴿ لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ ﴾ (النساء : ١٦٢) فالمقيمين فى موضع خفض بالعطف على الكاف فى

---

(١) الديوان ٢٦٠ .

(٢) انظر السبعة ٢٢٦ والنشر ٢٤٧/٢ والحجة ١٢١/٣ والبحر المحيط ١٥٧/٣ .

(٣) انظر مثلا معانى القرآن للفراء ٢٩٠/١ .

(إليك) ، والتقدير : يؤمنون بما أنزل إليك وإلى المقيمين الصلاة ، ويجوز أن يكون معطوفًا على الكاف فى (قبلك) . وقال عز وجل : ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (البقرة : ٢١٧) عطف المسجد الحرام على الهاء فى (به) . وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ (الحجر : ٢٠) حيث عطف (من) على الضمير المخفوض فى لكم[١] أما شواهد الشعر فكثيرة منها قول الشاعر :

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا فاذهب فما بك والأيام من عجب[٢]

فالأيام مخفوضة بالعطف على الكاف فى (بك) والتقدير (بك وبالأيام) وقال آخر :

أكر على الكتيبة لا أبالى أفيها كان حتفى أم سواها[٣]

عطف (سواها) بأم على الضمير فى (فيها) والتقدير : أفيها أم فى سواها وقال آخر وهو مسكين الدارمى :

تُعَلَّقُ فى مثل السوارى سيوفُنا وما بينها والكعبِ نموطٌ نفانفُ[٤]

عطف (الكعب) على الضمير فى (بينها) ، وقال الشاعر :

هلا سألت بذى الجماجم عنهم وأبى نعيم ذى اللواءِ المُخْرِقِ

(فأبى نعيم) خفض بالعطف على الضمير المخفوض فى (عنهم)[١] . وقال الشاعر :

---

(١) انظر معانى القرآن للفراء ١٤١/١ ، ٨٦/٢ .

(٢) انظر مثلا الكتاب ٣٨٣/٢ والأصول ١١٩/٢ .

(٣) شرح المفصل ٧٩/٣ .

(٤) انظر مثلا التبصرة والتذكره ١٤٢/١ .

أو بين ممنون عليه وقومه إن كان شاكرها وإن لم يشكر

فـ (قومه) خفض بالعطف على الضمير فى (عليه) أى عليه وعلى قومه[٢] . وقال الشاعر :

أريحوا البلاد منكم ودبيبكم بأعراضكم مثل الإماء الولائد

أى منكم ومن دبيبكم . وقال الشاعر :

ما إن بها والأمور من تلف ما حم من أمر غيبه وقعا

أى بها وبالأمور ، وقال الشاعر :

وقد رام آفاق السماء فلم يجد له مصعدا فيها ولا فى الأرض مقعدا

وقال الراجز :

آبك أيّه بى أو مُصَدّر من حمر الجلة جَأْبِ حَشْوَرِ[٣]

هذه هى الشواهد التى ورد فيها العطف على الضمير المجرور ، وقد أجاز الكوفيون هذا الخفض فى سعة الكلام ، وقصره البصريون على ضرورة الشعر ، يقول ابن عصفور : ولا يجوز العطف من غير إعادة الخافض إلا فى ضرورة شعر[٤] ، وعلى هذا الأساس ضعف كثير من نحاة البصرة قراءة الأمام حمزة – أحد القراء السبعة – بجر الأرحام قال الزجاج : فأما الجر فى الأرحام فخطأ فى العربية لا يجوز إلا فى اضطرار

---

(١) انظر مثلا الخزانة ١٢٥/٥ .

(٢) ضرائر الشعر ١٤٨ .

(٣) ضرائر الشعر ١٤٧ وانظر البحر المحيط ١٤٧/٢ .

(٤) شرح الجمل ٢٤٧/١ وانظر مثلا الأصول ٢١٩/١ وشرح المفصل ٧٨/٣ .

شعر[1] ، وقال الفارسى : وهذا ضعيف فى القياس قليل فى الاستعمال ، وما كان كذلك فترك الأخذ به أحسن[2] ، وقال ابن عصفور : وهى قراءة ضعيفة لما ذكرناه من أن العرب لا تعطف مخفوضًا على مخفوض قد كنى عنه إلا فى شعر لضيقه[3] . وقد دافع أبو حيان عن هذه القراءة قال : ومن ادعى اللحن فيها أو الغلط على حمزة فقد كذب ... [4]

ولنرجع إلى حاتم الطائى (إلى كفه والعنق) حيث عطف على الضمير المجرور ويمكن أن نعد هذا من قبل الاستعمال العدولى ، فنرى أن الأصل أن يعطف على الضمير المخفوض بإعادة الخافض (مررت بك وبزيد) ، هذا هو الأصل ، أما العطف بدون إعادة الخافض فاستعمال عدولى عُدِل به عن الأصل ، وهذا أفضل من أن نوافق البصريين فى أن هذا خاص بالشعر حيث وردت قراءة سبعية وهى قراءة حمزة وغيره . ولو لم ترد هذه القراءة لعُدّ ذلك من ضرورات الشعر .

الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه

أجاز النحاة الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما ليس بأجنبى ، فتقول : قام زيد اليوم وعمرو ، فتفصل بين زيد وعمرو بالظرف ، لأنه ليس بأجنبى من الكلام ، ومن ذلك قول الشعر :

فصلنا فى مراد صلقة وصداء ألحقتهم بالثلل

---

(١) معانى القرآن وإعرابه ٢/٥ .
(٢) الحجة ٣/١٢١ .
(٣) ضرائر الشعر ١٤٩ .
(٤) البحر المحيط ٢/١٤٧ .

ففصل بين (مراد وصداء) بالمصدر ، وهو (صلقة) لأنه ليس بأجنبى[1] . وقد عد السيوطى فصل الواو والفاء من المعطوف بهما ضرورة كقول الأعشى :

يورثه مالا وفى الحىَ رفعةً لما ضاعَ فيها من قروءٍ نسائكا

وفصل غيرهما من حروف العطف سائغ بقسم أو ظرف[2] .

وقد أجاز ابن مالك الفصل مطلقًا من غير تفصيل ، قال : وقد يفصل بين العهاطف والمعطوف إن لم يكن فعلا بظرف أو جار ومجرور ، ولا يخص بالشعر[3] .

وقد ورد الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه فى قول حاتم :

وأبْرز قدرى بالفضاء قليلُها يرى غيرَ مضنون به وكثيرُها[4]

حيث فصل بين (قليلها وكثيرها) بجملة : يرى غير مضنون به . وفى هذا ضرورة على رأى ابن عصفور والسيوطى ومن وافقهما[5] ، بل إن ابن عصفور بعد أن ذكر الفصل بما ليس بأجنبى تجاوز فى الكلام فقال : وأقبح منه ما يكون بالجمل نحو قوله تعالى : ﴿ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ (المائدة : ٦) ففصل بين

---

(١) شرح الجمل ٢٦٣/١ وابن عصفور يجيز الفصل هنا ، ويعده ضرورة فى كتابه الضرائر ٢٠٥ .

(٢) الهمع ١٩٥/٣ .

(٣) التسهيل ١٧٨ .

(٤) الديوان ٢٣٢ .

(٥) انظر ضرائر الشعر ٢٠٥ وشرح الجمل ٦٢٧/٢ والهمع ١٩٥/٣ .

(أرجلكم) وبين المعطوف عليه وهو: (وجوهكم) بالجملة وهى : وامسحوا برؤوسكم ، لأنه ملتبس بالكلام ، ولأن المقصود بالجمع تعليم الوضوء ، ولأجل واو العطف أيضا الداخلة على امسحوا ألا ترى أنها تربط ما بعدها بما قبلها . وحروف العطف كلها مشتركة فى العامل[1].

وأرى – والله أعلم – أن رأى ابن جنى[2] وابن مالك هو الصواب فى هذه المسألة وأن الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ليس من ضرائر الشعر ، بل من قبيل الاستعمال العدولى لوروده فى القرآن الكريم فى آية الوضوء : ﴿ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ وعلى هذا الأساس خرج ابن جنى قراءة مسلم بن جندب : ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الشورى : ٢١) ، بفتح الهمزة وذلك بالعطف على قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ قال أبو الفتح : هو معطوف على كلمة : (الفصل) ، أى ولولا كلمة الفصل وأن الظالمين لهم عذاب أليم ولولا أن الظالمين قد علم منهم أنهم سيختارون ما يوجب عليهم العذاب لهم لقضى بينهم[3] .

ثم هاجم ابن جنى من زعم أن ذلك ضرورة قال : ونعوذ بالله مما يجنيه الضعف فى هذه اللغة العربية على من لا يعرفها ، فإن أكثر من ضل عن القصد حتى كب على منخرية فى قعر الجحيم إنما هو لجهله بالكلام الذى خوطب به . ثم لا يكفيه عظيم ما هو عليه وفيه دون أن يجفوها ويعرض

---

(١) شرح الجمل ٢/٢٦٣ .

(٢) انظر الخصائص ٢/٣٩٦ .

(٣) المحتسب ٢/٢٥٠ .

عما يوضحه له أهلوها ٠ نعم ويقول : ما الحاجة إليها ؟ وأين وجه الضرورة الحاملة عليها ؟ نعوذ بالله من التتابع فى الجهالة والعدول عما عليه أهل الوفور والمثالة ٠

وجاز الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجواب (لولا) الذى هو قوله : لقضى بينهم ، لأن ذلك شائع ، وكثير عنهم[1] ٠

إذن ابن جنى لا يرى فى الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالجملة ضرورة ، وهذا ينسحب أيضا على قول الطائى : قليلها يرى غير مضنون به وكثيرها ٠

وإن كنا نعد ذلك من قبيل الاستعمال العدولى حيث عدل عن الأصل : عدم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه إلى الاستعمال العدولى فى الفصل بينهما٠

الفصل بين أفعل والمتعجب منه

لا يفصل المتعجب منه من أفعَلَ ، وأفعِلْ بشيء لضعفهما بعدم التصرف وقد لزم التعجب طريقة واحدة فضعف عن الفصل ، ولا يفصل إلا بظرف ومجرور يتعلق بالفعل كقوله "ما أحسن فى الهيجاء لقاءها ، أحبب إلينا أن تكون المقدما ٠ وجوز قوم الفصل على قبح ، وجوز الجرمى وهشام الفصل بالحال نحو ما أحسن مقبلا زيدًا ، وزاد الجرمى (المصدر) نحو ما أحسن إحسانا زيدًا ، وجوز ابن مالك الفصل بالنداء كقول على بن أبى طالب ﷺ : أعزز على أبا اليقظان أن أراك صريعا مجدلا ٠ وجوز ابن كيسان

---

(١) المحتسب ٢٥٠/١ ٠

الفصل بـ (لولا) نحو : ما أحسن لولا نجله زيدًا[1] إذن الأصل عدم الفصل بين فعل التعجب والمتعجب منه ، وقد عدل هذا الأصل ففصل بالجار والمجرور أما حاتم الطائى ففصل بالفعل فى قوله :

فكلت عديًا كلّها من إسارها فأفضلْ وشفعنى بقيس بن جحدر[2]

فالأصل : فأفضل بقيس بن جحدر وشفعنى فيهم ، إلا أن الشاعر عدل عن هذا الأصل لئلا ينكسر الوزن .

عدم تكرار (لا) إذا دخلت على معرفة

قرر النحاة أن (لا) إذا دخلت على معرفة لم تعمل شيئًا ولزم تكرارها قال ابن عصفور : فإن دخلت على معرفة لم تعمل شيئًا ولزم تكرارها . وزعم أبو العباس[3] أنه لا يلزم تكرارها ، وهذا فاسد[4] ، وقال ابن هشام : فإن كان ما بعدها جملة اسمية صدرها معرفة أو نكرة ولم تعمل فيها أو فعلا ماضيًا لفظًا وتقديرًا ، وجب تكرارها[5] .

وقد أوّل النحاة ما خالف ذلك أو عدوه ضرورة مثل قول الشاعر :

بكت جزعًا واسترجعت ثم آذنت

ركائبها ألا إلينا رجوعها

---

(١) الهمع ٣/٤٠ وانظر مثلا التبصرة والتذكرة ١/٢٦٩ .

(٢) الديوان ١٨٥ .

(٣) انظر المقتضب ٤/٣٦٠ .

(٤) شرح الجمل ٢/٢٧٥ .

(٥) المغنى ٢٤٣ .

وقول عبد الله بن الزبير الأسدى :

أرى الحاجات عند أبى خبيب نكدن ولا أمية فى البلاد

وقول الآخر :

أشاء ما شئت حتى لا أزال لما لا أنت شائيه من شأننا شانى

وقول العرب : "قضية ولا أبا حسن لها" وقول الراجز :

لا هيثم الليلة للمطى

وذكر النحاة أن التقدير (لا مثل هيثم)، ولا مثل أمية ولا مثل أبى حسن[1]

ونخلص من هذا إلى أن (لا) إذا دخلت على معرفة وجب تكرارها ، أما ما عدا ذلك فمؤول أو ضرورة .

وقد وردت (لا) أكثر من مرة فى شعر حاتم الطائى ، المرة الأولى فى قوله :

تمنّينا غَدْوَا ، وغيمكُم غدًا ضبابٌ فلا صحوٌ ولا الغيمُ جائد[2]

(ولا الغيم جائد) دخلت (لا) هنا على معرفة ولم يكررها الطائى وهذا من العدول أو من الضرورة .

أما المرة الثانية ففى قوله :

سلاحُك مَرْقِىٌّ فلا أنت ضائرٌ عَدُوًّا ولكنْ وجهَ مولاك تَقْطِفُ[1]

---

(١) انظر مثلا الأصول ٣٨٣/١ .

(٢) الديوان ٢١٦ .

وهنا أيضًا عدل الطائى فلم يكرر (لا) وقد دخلت على معرفة .

أما المرة الثالثة فقد عدل فيها الطائى عن العدول ، وكرّر (لا) حين دخلت على المعرفة قال :

فلا الجودُ يُفْنِى المالَ قبلَ فنائه ولا البخلُ فى مالِ الشحيح يزيدُ[٢]

(لا الجود يفنى المال ولا البخل ...) تكررت (لا) حين دخلت على معرفة ، وهذا هو الأصل فى الاستعمال ، قال تعالى : ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ﴾ (يس : ٤٠) .

إلزام (كلا وكلتا) الألف

(كلا) موضوع لتأكيد الاثنين لا غير ، ونقول : جاءنى كلا الرجلين ، ورأيت كلا الرجلين ، ومررت بكلا الرجلين ، فإذا أضيف إلى ضمير الاثنين قلبت ألفه فى النصب والجر ياءً ، نقول : جاءنى الرجلان كلاهما ، ورأيت الرجلين كليهما ، ومررت بالرجلين كليهما . وكذا (كلتا) نقول رأيت كلتا المرأتين ومررت بكلتا المرأتين وجاءتنى كلتا المرأتين ، وجاءتنى المرأتان كلتاهما ، ومررت بجارتيك كلتيهما ، بالياء على قياس المذكر[٣] . وقد ألزم الطائى كلتاهما الألف فى قوله :

وعشتُ مع الأقوامِ بالفقر والغنى وعشتُ بكأسَىْ ذاك كلتاهما دهرى[٤]

---

(١) السابق ٢٦٧ .

(٢) الديوان ٢٥٠ .

(٣) انظر مثلا التبصرة والتذكرة ١/١٦٥ .

(٤) الديوان ٢٣٩ .

حيث ألزم (كلتاهما) الألف مع أنها ليست فى موضع رفع ، والأصل أن يقال : (كلتيهما) فى حالتى النصب والجر ، وقد وردت (كلاهما) بالألف فى النصب فى قول الأسود بن يعفر :

إن المنيـــةَ والحتـــوفَ كلاهمـــا يوفى المنية يرقبـــان ســـوادى[1]

وهذا يجرنا إلى الحديث عن إلزام المثنى الألف فقد نسب ذلك إلـــى خثعم وهى فخذ من طيئ ، وقيل هى لغة بنى الحارث بن كعب وبعض بنى سليم[2] ، وقيل هى لغة لكنانة وبنى العنبر وبنى الهجيم وبطون من ربيعة ، وبكر بن وائل وزبيد وهمدان وفزارة وعذرة[3] . وشواهد هذه اللغة كثيـــرة منها ما خرجه بعضهم لقوله تعالى : ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ (طـــه : ٦٣) ومنها قول الرسول ﷺ : "لا وتران فى الليلة" وقول الشاعر :

إن أباهـــــا وأبـــــا أباهـــــا قـــد بلغـــا مـــن المجـــد غايتاهـــا

وقول الآخر :

تـــزود منـــا بـــين أذنـــاه طعنـــة دعته إلى هـــابى التـــراب عقـــيم

وعلى كل ، فلو صحت هذه اللغة لخثعم وهى فخذ من طيـــئ فـــإن الطائى يكون قد ألزم المثنى الألف فى لغته ، وإن لم تصح لخـــثعم فـــيمكن اعتبارها من الأساليب العدولية .

---

(١) انظر مثلا شرح الجمل ٢٨٢/١ والمغنى ٢٠٨ .

(٢) انظر مثلا النوادر ٥٨ ، ١٦٤ ومعانى القرآن للفراء ٨٤/٢ وشرح الجمل ١٥٢/١ .

(٣) الهمع ١٣٤/١ .

دخول (رب) على نكرة مضافة إلى معرفة

قال حاتم الطائى :

أمـــاوىَّ إنّـــى رُبَّ واحـــد أُمّـــه أجَرْتُ ، فلا قَتْلٌ عليه ولا أسْـرُ[1]

دخلت (رب) هنا على نكرة مضافة إلى معرفة ، وقد قرر النحاة أن (رب) لا تدخل إلا على النكرات ، كقولنا : رُبَّ رجلٍ قد رأيت ، ورب امرأة قد أكرمت ، ورُبَّ عالم قد لقيت ، وقد علل ابن عصفور لذلك بقولـــه : ولا يخفض برب إلا النكرة ، لأن المفرد بعدها فى معنى جمع ، ولا يكون المفرد فى معنى جمع إلا نكرة[2] .

وعلى هذا الأساس أجاز النحاة أن تدخل على ما لفظه لفظ المعرفـــة إذا كان نكرة مثل : رب مثلك ، ورب شبهك ، ورب غيرك قال أبو محجن :

يا رُبَّ مثلـــك فـــى النـــساءِ غريـــرةٍ بيـــضاءَ قـــد متعتهـــا بطـــلاق[3]

وقد منع النحاة "رب شبيهك" وأجازوا "رب شـــبهك" لأن (شـــبيهك) معرفة ، معناه : المعروف بشبيهك ، والفرق بينه وبين (شبهك) أن شـــبهك الإضافة غالبة على لفظه ، ووجوه الشبه كثيرة أما (شبيهك) فالإضافة ليست غالبة على لفظه ، فإذا أفرد تنكر ، وإذا أضيف إلى معرفة تعرف[4] .

وأجاز النحاة أيضًا دخولها على ضمير النكرة ، نحو رُبّه رجـــلا ، ورُبّه رجلان ورُبّه رجالا ، ورُبّه نساءً . وذلك أن ضمير النكرة من طريق

---

(١) الديوان ٢٠١ .

(٢) شرح الجمل ٥١٣/١ وانظر مثلا الإيضاح العضدى ٢٥٣ .

(٣) انظر مثلا التبصرة والتذكرة ٢٩٠/١ وشرح المفصل ١٢٦/٢ .

(٤) التبصرة والتذكرة ٢٩٠/١ .

المعنى نكرة، لأن الضمير هو الظاهر فى المعنى ، وإنما يكون ضمير النكرة محكومًا له بحكم المعرفة من طريق نيابته مناب ما عرف بالألف واللام إذا عاد إلى متقدم[1] . أى أن ابن عصفور يرى أن الضمير الذى دخلت عليه (رب) نكرة ، لأنه وقع موقع النكرة ، وذهب الفارسى والسيوطى إلى أن هذا الضمير معرفة جرى مجرى النكرة فى دخول (رب) عليه لما أشبهها فى أنه غير معين ولا مقصور[2] .

وأجاز النحاة أيضًا دخول (رب) على المضاف إلى ضمير غير النكرة العائد على ما تقدم ، وقد أجازوا ذلك لكون الإضافة هنا غير محضة ، فلم تفد تعريفًا ، ولأنه يغتفر فى التابع ما لا يغتفر فى المتبوع فيجوز : رب رجل وأخيه ، ولا يجوز رب أخيه ، ويجوز : رب رجلٍ منطلق نفسُه وزيدٌ ، فتؤكد الضمير الذى فى (منطلق) ، ثم تعطف عليه (زيدًا) ولا يجوز أن تجر (نفسه) توكيدًا لرجل ، لأنه نكرة[3] .

أى أن النحاة مجمعون على دخول رب على النكرة ، وقد أولوا ما خالف ذلك فإذا دخلت على ضمير ذكروا أن هذا الضمير إما أن يكون نكرة ، وإما أن يكون معرفة جرى مجرى النكرة ، وعلى هذا أجازوا رب رجل وأخيه ، لأن الإضافة غير محضة فلم تفد تعريفًا ، وما ذكره النحاة من دخول رب على النكرة هو الأصل ، أما قول حاتم "رب واحد أمه" فأرى أنه من قبيل الاستعمال العدولى ، وقد سوغ ذلك أن (واحد أمه) لم يتعرف

---

(١) شرح الجمل ٥١٤/١ .

(٢) الإيضاح العضدى ٢٥٣ والهمع ٣٥١/٢ .

(٣) التبصرة والتذكرة ٢٨٩/١ .

بالإضافة ، وإن أضيف إلى المعرفة ، لتوغله فـــى الإبهـــام إذ لا ينحـــصر بالنسبة إلى مضاف معين كما قال البغدادى[1] .

مجئ (مهما) للزمان

جمهور النحاة على أن (ما) و(مهما) لا تـــردان للزمـــان[2] . وقـــد وردت مهما ظرف زمان فى قول حاتم الطائى :

وإنـــك مهمـــا تعـــط بطنـــك ســـؤله وفرجك نالا منتهى اللذة أجمعـــا[3]

وهذا من الاستعمال العدولى فى استعمال (مهما) للزمان ، وقد جزم الجمهور بأنها لا تستعمل ظرفاً ، وهناك شاهد آخر على مجئ (مهما) للزمان وهو قول ساعدة بن جؤية .

قد أوبيت كـــلَّ مـــاء فهـــى طاويـــة مهما تصب أفقًا من بارقٍ تَـــشِمِ[4]

---

(١) انظر الخزانة ١٦٣/٢ .

(٢) انظر مثلا المغنى ٣٢٤ .

(٣) الديوان ١٧٤ .

(٤) انظر مثلا الخزانة ١٦٣/٨ والهمع ٤٥١/٢ .

دخول نون التوكيد على المنفى بـ (ما)

نون التوكيد – الخفيفة أو الثقيلة – تدخل على الأمر كاضربنْ واضربنَّ وعلى الفعل المنهى عنه لا تضربنَّ ، وعلى جواب القسم والله ليقومن زيد وعلى فعل الشرط إن تضربن زيد يسئ إليك ... [1] ، ولا تدخل هذه النون على الجزاء والمنفى بـ (ما) ولا ولم ، والتعجب والماضى ، ومدخول ربما ، وما الزائدة وسائر أدوات الشرط واسم الفاعل ، إلا شذوذا وضرورة أو مثلا[2] .

وقد دخلت نون التوكيد على المضارع المنفى بـ (ما) فى قول حاتم :

قليل به ما يحمدنَّك وارث إذا ساق مما كنت تجمع مغنما[3]

(ما يحمدنك) ، دخلت النون على المضارع المنفى بـ (ما) ، والسيوطى يعد ذلك ضرورة أو شذوذًا . وهذا ولم يرد شاهد آخر على ذلك ، لذلك نسلم للسيوطى بأنه ضرورة .

---

(١) انظر مثلا شرح الجمل ٥٠٨/٢ .

(٢) الهمع ٥١٢/٢ .

(٣) الديوان ٢٢٣ .

الخاتمـــة

ويعد أن عشنا هذه اللحظات مع شعر حـــاتم الطـــائى مـــن خـــلال ظاهرتين أسلوبيتين من الظواهر التى جاء بها الشعر أو النثر ، يحسن بنا أن نجمل ما قلناه فى النقاط التالية :

١-لم يأخذ شعر حاتم الطائى حظه الكافى من دراسات النحاة قديمًا وحـــديثًا بالمقارنة بشعر الجاهليين كامرئ القيس وزهير وطرفة ... وغيرهم ، فلو أخذنا مثلا كتاب الهمع للسيوطى ، نجده قد استشهد بسبعة أبيات مـــن شعر الطائى فى حين نجد شواهد امرئ القيس قد زادت علـــى خمـــسين شاهدًا ، وقد استشهد السيوطى بحوالى أربعين شاهدًا من شعر الأعشى .

وباستقراء كتاب آخر من كتب الضرورة النحاة نجد المغنى مـــثلا ، يستشهد فيه ابن هشام بشاهدين فقط من شواهد الطائى ، وقد زادت شـــواهد هذا الكتاب على الألف شاهد .

وهذا ما حدث أيضًا فى كتب الشعرية ، ففى كتاب ما يحتمل الـــشعر لأبى سعيد السيرافى وهذا الكتاب من أوائل الكتب التى ألفت فى الـــضرورة إن لم يكن أولها – لم يستشهد فيه السيرافى بشعر حاتم الطائى . أما كتـــاب ضرائر الشعر فقد استشهد فيه ابن عصفور بثلاثة شواهد من شعر الطائى .

وللتدليل على ما نقول نذكر بعـــض المـــسائل النحويـــة والـــشواهد المشهورة والتى تتكرر فى كل كتب النحو من أيام سيبويه إلى يومنا هـــذا ، فالنحاة عند حديثهم عن ورود خبر (عسى) مجردًا من (أن) يستشهدون بقول هدبة :

عسى الكـــرب الـــذى أمـــسيت فيـــه يكـــون وراءه ، فـــرج قريـــب

وبقول الآخر :

عسى الله يغنى عن بلاد ابـن قـادر بمنهمر جـون الربـاب سـكوب

وقد يذكرون قول مالك بن الريب

وماذا عسى الحجـاج يبلـغ جهـده .....

أو بقول الآخر :

..... عـسى يغتـر بـى حمـق لئـيم

وينسون شاهدًا لحاتم وهو قوله : عسى يرى نارَك من يمر ٠

ومن ذلك أيضًا العطف على الضمير المجرور مـن غيـر إعـادة الخافض يستشهدون بقول الشاعر : ٠٠٠٠ فاذهب فما بك والأيام من عجب وبشواهد أخرى وينسون قول الطائى ٠

..... إلى كفـه والعنـقِ غـل مـسجر

وعند حديث النحاة عن إقامة غير المفعـول بـه مقـام الفاعـل ، يستشهدون بشاهد جرير المشهور "لسب بذلك الجرو الكلابا" على الرغم من ورود مثل ذلك فى شعر حاتم وهو قوله :

يُحْـــسم لـــك الـــداءَ محـــسما

٢-هناك بعض الأساليب العدولية فى شعر حاتم الطائى جاءت موافقة لرأى الكوفيين ، مثل العطف على الضمير المجرور من غير إعـادة الجـار ، حيث ورد ذلك فى شعر حاتم الطائى "إلى كفه والعنقِ غل مسجر" وهـذا يوافق رأى الكوفيين ، الذين أجازوا العطف على الضمير المجرور مـن غير إعادة الخافض ٠

ومن ذلك أيضًا إقامة غير المفعول به مقام الفاعل ، فالكوفيون والأخفش أجازوا ذلك مع وجود الفاعل ، وقد ورد ذلك فى شعر حاتم ·

يُحْسم لك الداءَ محسما

٣-هناك بعض الأبيات التى تعددت فيها الأساليب العدولية ففى بعض أبيات الطائى نجد أكثر من أسلوب عدولى مثل قوله :

أبوه أبى والأمهات امهاتنا فأنعم فدتك اليوم قومى ومعشرى

فقد وصل الطائى ألف القطع فى (امهاتنا) ، وحذف المتعجب منه فى (أنعم) ·

٤-كثيرًا ما يعدل الطائى عن العدول ، أو بمعنى آخر يرجع إلى أصل الاستعمال فالأصل أن يرخم فى النداء ، وقد عدل الطائى عن هذا الأصل فرخم فى غير النداء فى قوله :

سأمنحه على العلات حتى أرى ماوىَ ألا تشتكينى

حيث رخم الشاعر (ماوية) فى غير النداء ، وهذا من العدول لوروده فى بعض القراءات ، وقد عدل الطائى عنه فرخم (ماوية) فى النداء فى قوله :

سلى الأقوام يا ماوىّ عنى وإن لم تسأليهم فاسألينى

ومن الأساليب العدولية عدم تكرار (لا) إذا دخلت على معرفة فالأصل أن تتكرر (لا) إذا دخلت على المعرفة ، وقد عدل الطائى عن هذا الأصل فى قوله :

تمنينا غدوا وغيمكم غدًا ضباب فلا صحو ولا الغيم جائد

وقد عدل عن هذا العدول فكرر (لا) حين دخلت على معرفة في قوله :

فلا الجود يفنى المال قبل فنائه ولا البخل فى مال الشحيح يزيد

٥-هناك بعض الشواهد التى استشهد بها النحاة من شعر حاتم الطائى ٠

وقد جاءت رواية الديوان مخالفة لرواية النحويين ، وهذه المخالفة فى موطن الاستشهاد ، وبرواية الديوان يفوت استشهاد النحويين بالبيت ، من أمثلة ذلك قول حاتم ٠

ويهًا فداء لكم أمى وما ولدت حاموا على مجدكم ، واكفوا من اتكلا

فالنحاة يستشهدون بالبيت برواية (إيهَ) بالفتح من غير تنوين[1] ٠

٦-هناك ظواهر كثيرة عدها النحاة ضرورة ، وقد ورد لهذه الظاهرة شواهد من القرآن الكريم ومن القراءات القرآنية ٠

فالفصل بين المعطوف والمعطوف عليه عده ابن عصفور والسيوطى وغيرهما ضرورة وقد ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ ﴾ ٠

ومن ذلك أيضًا حذف حرف العطف ، فهو ضرورة عند ابن عصفور والقزاز وغيرهما ، على الرغم من وروده فى الحديث الصحيح ، "تصدق رجل من دينار ه من درهمه من صاع بره من صاع تمره" ٠

---

(١) انظر مثلا شرح المفصل ٤/٧١ ٠

وعلى هذا الأساس اعتبرنا ما ورد مثله في القرآن الكريم أو القراءات القرآنية – المتواترة والشاذة – والحديث الشريف ، وكلام العرب النثرى لا يعد ضرورة ، بل يمكن اعتباره أسلوبًا عدوليا ٠

٧-ليس من العدول ما أجازه بعض النحاة ، فهناك ظواهر نحوية كثيرة وردت في شعر حاتم الطائى ، إلا أننا لم نعتبرها من الأساليب العدولية لإجازة بعض النحاة لها ، وعلى هذا الأساس لم نعتبر قول حاتم :

وقد علم الأقوام لو أن حاتما أراء ثراء المال كان له وفر

عدولا ؛ لإجازة ابن مالك التعليق بـ (لو)

٨-ليس من العدول أيضًا ما ورد في شعر حاتم من لغة طيئ مثل (ذو) الطائية التى وردت في شعره ثلاث مرات :

١-لئن لم تغير بعض ما قد صنعتم لأنتحين للعظم ذو أنا عارقه

٢-إذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت ، فكن ياوهمُ ذو يتأخر

٣-كلوا ما به خضرا وصفرا ويانعا هنيا وخير النفع ذو لا يكدر

٩-عدل الطائى كثيرًا عن المعانى التى حددها اللغويون فى معاجمهم ، وهذا الباب يعد أكثر الأبواب التى مال فيها الطائى إلى الأساليب العدولية فقد عدل فى استعمال الجلد بمعنى الجليد ، وفى استعمال الزند بمعنى اللئام وفى استعمال أتنكف بمعنى أميل عليه فأضربه ، وفى استعمال مؤنف بمعنى مشتوم وفى استعمال الصفاق بمعنى مارقّ من الخاصرة وسفل منها ، وفى استعمال العويص بمعنى ما يتحرك من العرق ، وفى استعمال رخاء بمعنى الأرض الصلبة وفى استعمال مضنون بمعنى قليل

المصادر

- الأسلوب العدولى فى الفاصلة القرآنية . إعداد د. خليل عبد العال . مجلة كلية دار العلوم – جامعة الفيوم الإصدار الرابع عشر .
- الأصول فى النحو لابن السراج تحقيق د. عبد الحسين الفتلى . مؤسسة الرسالة ١٩٩٩ .
- أمالى ابن الشجرى . تحقيق د. محمود الطناحى . مكتبة الخانجى . القاهرة .
- الإنصاف فى مسائل الخلاف للأنبارى – تحقيق د. جودة مبروك . مكتبة الخانجى .
- البحر المحيط لأبى حيان . تحقيق عادل عبد الموجود ، على معوض دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٣ .
- البيان فى روائع القرآن للدكتور تمام حسان . الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- التبصرة والتذكرة للضميرى تحقيق د. فتحى أحمد مصطفى على الدين . دار الفكر . دمشق ١٩٨٢ .
- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد . لابن مالك . تحقيق محمد كامل بركات . دار الكتاب العربى ١٩٦٧ .
- الحجة لأبى على الفارسى تحقيق بدر الدين قهوجى ، بشير جويجاتى. دار المأمون للتراث ١٩٩٢ .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى . تحقيق عبد السلام هارون . مكتبة الخانجى ١٩٨٩ .

- الخصائص • لابن جنى تحقيق محمد على النجار • الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩ •
- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائى وأخباره صنعة يحيى بن مدرك الطائى • رواية هشام ابن محمد الكلبى • دراسة وتعليق د• عادل سليمان جمال • مكتبة الخانجى ، ١٩٩٠ •
- ديوان عمر بن أبى ربيعة • تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد • دار الأندلس ط٢ ١٩٨٢م •
- السبعة لابن مجاهد تحقيق د• شوقى ضيف • دار المعارف ١٤٠٠هـ
- شرح الجمل لابن عصفور – تحقيق د• صاحب أبو جناح • عالم الكتب ١٩٩٩ •
- شرح شواهد الشافية للبغدادى • تحقيق محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيى الدين عبد الحميد دار الكتب العلمية ١٩٧٥ •
- شرح المفصل لابن يعيش • مكتبة المتنبى القاهرة •
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى مكتبة العروبة •
- ضرائر الشعر لابن عصفور تحقيق السيد إبراهيم محمد • دار الأندلس • ١٩٨٠
- الضرائر اللغوية فى الشعر الجاهلى للدكتور عبد العال شاهين • دار الرياض – السعودية ١٩٨٣ •
- الكتاب لسيبويه • تحقيق عبد السلام هارون • دار الجيل •

- كتاب الشعر للفارسى • تحقيق د• محمود الطناحى • مكتبة الخانجى • ١٩٨٧ •
- الكشاف للزمخشرى • شرحه وضبطه يوسف الحمادى • مكتبة مصر
- لغة الشعر • دراسة فى الضرورة الشعرية • للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف • دار الشروق ١٩٩٦ •
- ما يحتمل الشعر من الضرورة للسيرافى تحقيق د• عوض بن حمد القوزى • الطبعة الثانية ١٩٩١ •
- المحتسب لابن جنى تحقيق على النجدى ناصف ، د• عبد الحليم النجار ، د• عبد الفتاح شلبى • المجلس الأعلى للشئون الإسلامية • ١٩٩٩ •
- معانى القرآن للفراء تحقيق محمد على النجار • دار السرور •
- معانى القرآن وإعرابه للزجاج تحقيق • عبد الجليل شلبى • دار الحديث •
- مغنى اللبيب لابن هشام • تحقيق د• مازن المبارك ، محمد على حمد الله • دار الفكر ١٩٩٨ •
- المقتضب للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة • المجلس الأعلى للشئون الإسلامية •
- المقرب لابن عصفور • تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى ، عبد الله الجبورى • بغداد ١٩٨٦ •
- النشر فى القراءات العشر لابن الجزرى • نشر محمد على الضباع • المكتبة التجارية – همع الهوامع للسيوطى تحقيق أحمد شمس الدين • دار الكتب العلمية ١٩٩٨ •